ميزان الاعتدال

لحفظ

الدين والأحوال

العنوان: ميزان الاعتدال لحفظ الدين والأحوال

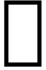
الجزء السادس "المعرفة بالله تعالى"

تأليف: الشريف الشيخ عباس السيد فاضل الحسني

الطبعة:الأولى ــ دار الرسالة

رقم الإيداع لدى دار الكتب والوثائق(٢٩٩٢) لسنة ٢٠١٧م

١٤٣٩ هــ ــ ٢٠١٨م





الحيرة

العجز

سلسلة الحق والنور

الرسالة الثامنة

ميزان الاعتدال لحفظ الدين والأحوال

المؤلف

الشريف الشيخ عباس السيف نائل الحسيني

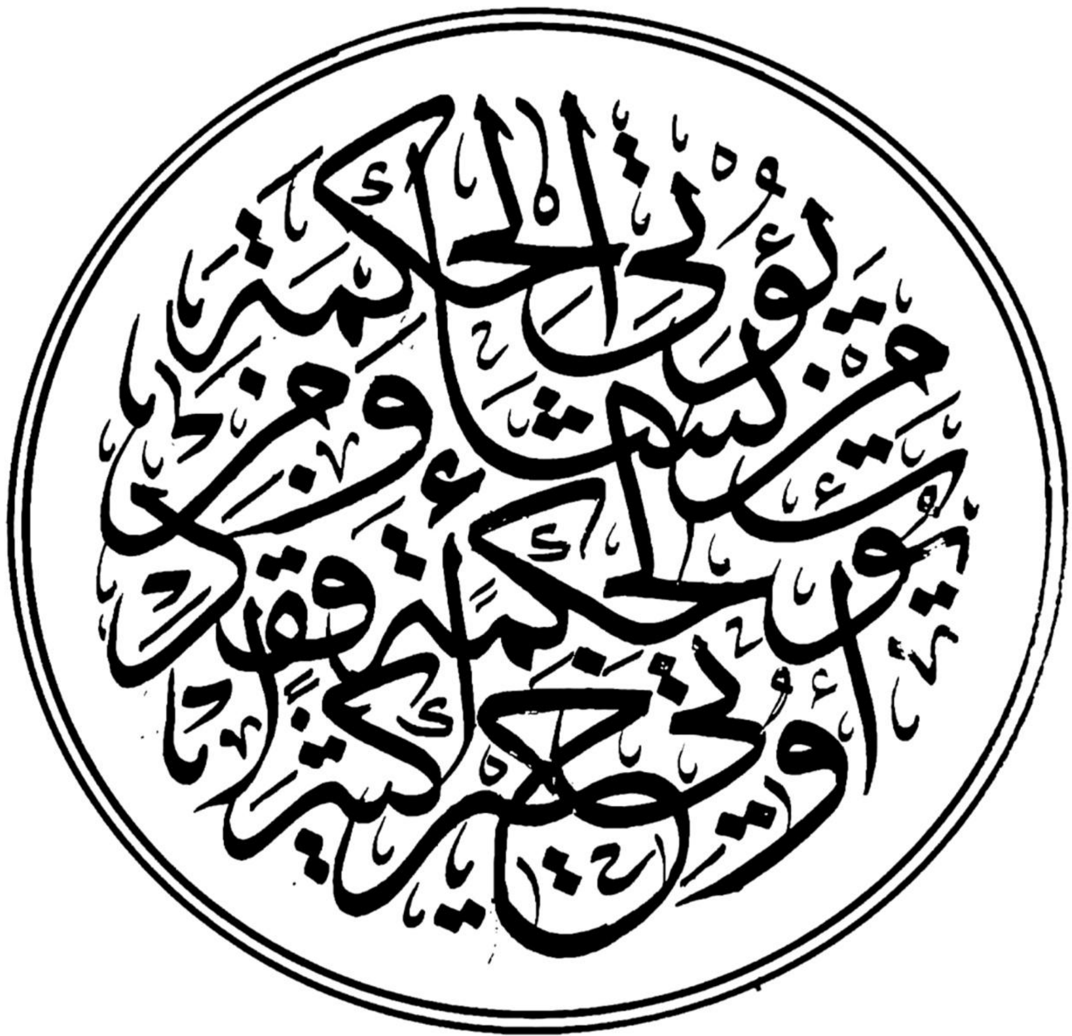
الجزء السادس - المعرفة بالله تعالى

الحياء

الخدمة



بسم الله الرحمن الرحيم


يؤتي الحكمة من يشاء ومن يؤت الحكمة فقد أوتي خيرا كثيرا


ولكن كونوا ربانيين بما كنتم تعلمون الكتاب وبما كنتم تدرسون



المقدمة

أحمد الله لذاته ـ حمدًا كما ينبغي لجلال وجهه، وعظيم سلطانه ـ المستحقة للحمد، والصَّلاة والسَّلام على أكمل رسل الله مُحمَّدٍ صاحب لواء الحمد، وعلى أهل بيت النَّبيِّ الْمُكرمين ـ أهل الوداد والمجد، وأصحاب رسول الله الأتقياء ـ الثابتين على العهد، والموفين بالوعد ـ رضوان الله تعالى عليهم أجمعين ـ إلى يوم الوعيد، اللَّهُمَّ؛ اشملنا والأحبة معهم ـ وأنت الواحد الفرد الصمد؛ اللَّهمَّ؛ صلِّ على سيدنا محمّد صلاةً لا تُعد ولا تُحد، ولا يحصي ثوابها أحد، يا رازق النعاب في وكره، يا رازق العبد الشكور، ومن جحد، يا من صفاته: ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ

يَلِدۡ وَلَمۡ يُولَدۡ ﴿٣﴾ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدُۢ ﴿٤﴾﴾.

أمَّا بَعْدُ: فكنَّا قد أوضحنا في الرسالة الثامنة بجزئها الأول، الذي يتحدث عن العلم والعلماء؛ أن السائرين إلى الله تعالى ـ "بالدين، والمحبَّة، والدَّعوة"، على ثلاثة أصناف، وهم: "أهل العلم، وأهل التقوى، وأهل المعرفة بالله"، وها هو الجزء السادس يتحدث بفضل الله ولطفه وكرمه، "عن المعرفة بالله تعالى".

"أي سادة": فبين العلم، والمعرفة بالله مناسبة، قال: أهل التحقيق؛ الجمع بين مشربي العلماء العاملين، والمشايخ العارفين ـ نفعنا الله بهم أجمعين.

ـ فالعلماء العاملون أخذوا بالنصوص، في العموم والخصوص، فهم في أعمالهم وأقوالهم مقيَّدون بالنص عاملون به كلٌ منهم على ما ذهب إليه إمامه ذاهب، وبقوله قائل، وبعلمه عامل، اتخذه دليلاً، وقلد في أعماله المعصوم الأعظم ـ صلَّى الله تعالى عليه وسلَّم، لا ينفك أحدهم عن هذا النمط الكريم أبدًا، فهو ولي من أولياء الله تعالى، يُتَّبع ويُعتقد ويُقبل قوله ويُنقل.

ـ والمشايخ العارفون؛ أخذوا مع العمل بالنصوص بإشغال القلوب وتهذيبها بالإخلاص الكامل في كل أعمالهم، وعَدُّوا الأخذ بالرخص من أحوال الضعفاء، وتحققوا بالاتِّباع بالقول

والعمل والحال، ومشربهم هذا هو عين مشرب العلماء العاملين، غير أنهم دققوا النظر بإحكام الأحكام التي جاء بها الخبر، فلذلك ظهرت على أيديهم آثار تلك الأحوال النبوية الصادقة، وأفاض الله تعالى إليهم كلَّ مزيَّة جليلة، وكلَّ كرامة خارقة.

وأجلُّهم من تحلَّى مع هذا الحال بالعلم النَّيِّر وجمع العمل والحال، فمثل هذا الرجل يعدُّ من أعيان الفريقين، ومن صدور الطائفتين، وهم وإن قسمناهم إلى قسمين، وعددناهم طائفتين، ففي حقيقة الأمر هم ركْب واحد، كلُّهم في عمله إلى

الله راجعٌ وعائد، ورثوا الأنبياء الذين لا نفرِّق بين أحد منهم ـ رضي الله تعالى عنهم.

فعليك أيها المحبُّ بإعظام الركبين، ومحبة الفريقين، واعلم أنَّ مَن شذَّ من العلماء عن المشرب الذي وصفنا به العلماء العاملين، فهو من علماء السوء ومن البطَّالين.

ومن شذَّ عن المشرب الذي وصفنا به المشايخ العارفين فهو من الكذَّابين، أو من الجاهلين. فنقِّ نفسك في الطريقين من وصف الشاذِّين عن المنهجين، والله وليُّ الهداية، ومنه التوفيق والعناية[1].

---

١ الدرة البيضاء للإمام بهاء الدين محمد مهدي، الشهير بالرواس، (ت١٢٨٧هـ): (ص٣٠ ـ ٣١).

قال الإمام الحارث المُحاسبي: اعلم أنّه ما تزيّن أحد بزينةٍ كالعقل، ولا لبس ثوبًا أجمل من العلم، لأنه ما عُرفَ اللهَ إلا بالعقل، ولا أُطيعَ إلا بالعلم.

واعلم: أنَّ أهل المعرفة بالله بنوا أصول الأحوال على شاهد العلم، وتفقَّهوا في الفروع، لذا ورد: «مَنْ عَمِلَ بِمَا عَلِمَ وَرَّثَهُ اللَّهُ تَعَالَى[1] عِلْمَ

---

[1] فقد شرط لوراثة هذا العلم العمل بعلم الدراسة الذي هو علم الاكتساب، وهو علم الأحكام بعد أحكام علم التوحيد، وهذا علم الدراسة، وعلم الوراثة: علم آفات النفس، وآفات العمل، وخدع النفس، وغرور الدنيا، وأخبر أن من عمل بعلم الاكتساب ورثه الله تعالى علم ما لم يعلم، وهو «علم الإفهام»، وفي نسخة «علم الإلهام»، ينظر: بحر الفوائد المشهور بمعاني الأخبار: لأبي بكر محمد بن أبي إسحاق بن إبراهيم بن يعقوب الكلاباذي البخاري الحنفي (ت ٣٨٠هـ): (ص٩٩).

مَا لَمْ يَعْلَمْ»[1]، وعلامة ذلك هو تزايد العلم بالإشفاق، ومزيد العلم بالاقتدار، فكلَّما ازداد علمًا ازداد خوفًا، وكُلَّما ازداد عملاً ازداد تواضعًا.

والأصل الذي بنوا به في طريقهم: التزام الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر بالصدق، وتقديم العلم على حظوظ النفوس، والاستغناء بالله عن جميع خلقه. فاطلب: آثار من زاده العلم خشية، والعمل بصيرة، والعقل معرفة، فإن حجبك عن مناهجهم فقد الأدب، فارجع بالذم على نفسك، ولن يخفى على أهل العلم صفة المخلصين.

---

١ ((حلية الأولياء، وطبقات الأصفياء)): لأبي نعيم أحمد بن عبد الله بن أحمد بن إسحاق بن موسى بن مهران الأصبهاني (ت ٤٣٠هـ): (١٦٣/٦).

ـ واعلم: أنَّ في كلِّ فكرةٍ أدبًا، وفي كلِّ إشارةٍ علمًا، وإنَّما يميّز ذلك من فهم عن الله ﷻ، مراده، وجنى فوائد اليقين من خطابه.

وعلامة ذلك في الصادق: إذا نظر اعتبر، وإذا صمت تفكّر، وإذا تكلّم ذكر، وإذا مُنع صبر، وإذا أُعطي شكر، وإذا ابتُلي استرجع، وإذا جُهل عليه حَلُم، وإذا علم تواضع، وإذا علَّم رفق، وإذا سُئل بذل، شفاءٌ للقاصد، وعونٌ للمسترشد، حليف صدق، وكهف بِرٍّ، قريب الرِّضى في حقِّ نفسه، بعيد الهمَّة في حقِّ الله تعالى، نيَّته أفضل من عمله، وعمله أبلغ من قوله، موطنه الحق، ومعقله الحياء، ومعلومه الورع، وشاهده الثّقة، له بصائر من النور

يُبصر بها، وحقائق من العلم ينطق بها، ودلائل من اليقين يُعبِّر عنها.

وإنَّما يواصل بذلك من جاهد لله تعالى نفسه، واستقامت لطاعته نيّته، وخشي الله في سره وعلانيته، وقصُر الأمل، وشمَّر مئزر الحذر، وأقلع بريح النجاة في بحر الابتهال، فأوقاته غنيمة، وأحواله سليمة، لم يغترَّ بزخرف دار الغرور، ولم يلهُ ببريق سراب نسيمها عن أهوال يوم النُّشور.

واعلم: أن العاقل لَّما صحَّ علمه وثبت يقينه؛ علم أن لا ينجيه من ربِّه إلا الصدق، فسعى في طلبه، وبحث عن أخلاق أهله رغبةً في أن يحيي قبل مماته، ليستعدَّ لدار الخلود بعد وفاته، فباع نفسه

وماله من ربِّه حيث سمعه يقول ـ جلَّ جلالُهُ: ﴿إِنَّ ٱللَّهَ ٱشْتَرَىٰ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ أَنفُسَهُمْ وَأَمْوَٰلَهُم بِأَنَّ لَهُمُ ٱلْجَنَّةَ ۚ ﴿١١١﴾﴾[1]، فعلم بعد الجهل، واستغنى بعد الفقر، وأنس بعد الوحشة، وقرُب بعد البُعد، واستراح بعد التَّعب، فأتلف أمره، واجتمع همُّه.

ـ فشعاره الثِّقة، وحاله المراقبة، ألا ترى لقول رسول الله ﷺ: «الإِحْسَانُ أَنْ تَعْبُدَ اللَّهَ كَأَنَّكَ تَرَاهُ، فَإِنْ لَمْ تَكُنْ تَرَاهُ فَإِنَّهُ يَرَاكَ[2]»، متفق عليه[3]. يحسَبه

---

١ سورة التوبة.

٢ وصدقه على ذلك جبريل، والعلم مقرون بالعمل، والعمل مقرون بالإخلاص، والإخلاص أن يريد العبد بعلمه وعمله وَجْهَ الله تعالى.

٣ ((الجامع المسند الصحيح المختصر من أمور رسول الله ﷺ وسننه وأيامه)) المعروف بـ ((صحيح البخاري)): لمحمد بن إسماعيل أبو عبدالله البخاري الجعفي (ت ٢٥٦هـ)، كتاب الإيمان ـ باب سؤال جبريل النبي ﷺ عن الإيمان والإسلام والإحسان، رقم: ٥٠، ((صحيح مسلم)): لمسلم

الجاهلُ صِمِّيتًا عَيِيًّا، وحكمَتُهُ أصمَتته، ويحسَبه الأحمقُ مِهذارًا، والنَّصيحة لله أنطقته. ويحسَبه غنيًّا، والتَّعفُّفُ أغناه، ويحسَبه فقيرًا، والتواضع أدناه. لا يتعرَّض لما لا يعنيه، ولا يتكلف فوق ما يكفيه، ولا يأخذ ما ليس بمحتاجٍ إليه، ولا يَدَعُ ما وُكِّل بحفظه، النَّاس منه في راحةٍ، وهو من نفسه في تعبٍ، قد أمات بالورع حِرصَه، وحَسَمَ بالتُّقى طعمَه، وأفنى بنور العلم شهواته، فهكذا فكن، ولمثل هؤلاء فاصحب، ولآثارهم فاتبع، وبأخلاقهم فتأدَّب، فهؤلاء الكنز المأمون، بائعهم بالدُّنيا مغبون، وهم العُدَّةُ في البلاء، والثِّقات من الأخِلاء، إِنِ افْتقرت أغنَوك، وإنْ دَعَوا الرَّبَّ لم ينسوك ﴿أُوْلَٰٓئِكَ حِزۡبُ

بن الحجاج القشيري النيسابوري (ت٢٦١): كتاب الإيمان – باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان، رقم: ٩٣.

ٱللَّهِۚ أَلَآ إِنَّ حِزۡبَ ٱللَّهِ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ﴿٢٢﴾ ﴾[1] انتهى[2]. ﴿وَقُل رَّبِّ زِدۡنِي عِلۡمٗا ﴿١١٤﴾ ﴾[3]، ﴿وَقُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي لَمۡ يَتَّخِذۡ وَلَدٗا وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٞ فِي ٱلۡمُلۡكِ وَلَمۡ يَكُن لَّهُۥ وَلِيّٞ مِّنَ ٱلذُّلِّۖ وَكَبِّرۡهُ تَكۡبِيرَۢا ﴿١١١﴾ ﴾[4]، الله أكبر كبيرا، والحمد لله كثيرا، وسبحان الله بكرةً وأصيلا، لا إله إلا الله وحده لا شريك له، له الملك، وله الحمد، يحيي ويميت، وهو على كلِّ شيء قدير. اللّهُمَّ؛ اجعل لنا العزة والرفعة، ببركة آية العز هذه، آمينَ آمينَ آمين، يا الله ـ تبارك وتعالى ربّنا وتقدس.

---

١ سورة المجادلة.

٢ رسالة المسترشدين: لأبي عبد الله الحارث بن أسد المُحاسبي البصري، (ت٢٤٣هـ)، تحقيق عبد الفتاح أبو غدة: ص ٥٦ ـــ ٦٢.

٣ سورة طه.

٤ سورة الإسراء.

"أي سادة": قال الله تعالى: ﴿بَلْ هُوَ ءَايَٰتٌۢ بَيِّنَٰتٌ فِى صُدُورِ ٱلَّذِينَ أُوتُوا۟ ٱلْعِلْمَ ﴿٤٩﴾﴾[1]، والمعنى: يحفظون القرآن المجيد، ولا يقدر أحدٌ على تحريفه، قالوا: قلوب الخواصِّ من العارفين بالله خزائن الغيب فيها، براهين حقِّه، وبيِّنات سرِّه، ودلائل توحيده، وشواهد ربوبيَّته؛ فقانون الحقائق قلوبهم، وكلُّ شيءٍ يطلب من موطنه ومحلِّه؛ كما قال ـ جلَّ ثناؤه: ﴿يُؤْتِى ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِىَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴿٢٦٩﴾﴾[2]، والحكمة سرُّ النبوة؛ كما قال تعالى: ﴿لَقَدْ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ يَتْلُوا۟ عَلَيْهِمْ

---

١ سورة العنكبوت.

٢ سورة البقرة.

ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ١٦٤﴾[1]، والحكمة، هي: السُّنَّة؛ كما قال ـ جلَّ ذكره: ﴿وَٱذۡكُرۡنَ مَا يُتۡلَىٰ فِي بُيُوتِكُنَّ مِنۡ ءَايَٰتِ ٱللَّهِ وَٱلۡحِكۡمَةِۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ لَطِيفًا خَبِيرًا ٣٤﴾[2]، والسُّنَّة، هي: شقيقة القرآن، أو وضْع الأشياء مواضعها، ومعرفة أسرار الشريعة، فجمع لهم بين تعليم الأحكام، وما به تَنْفُذُ الأحكام، وما به تُدرك فوائدها وثمراتها، ففاقوا بهذه الأمور العظيمة جميع المخلوقين، "وكانوا من العلماء الربَّانيين"؛ قال ـ جلَّ جلالُهُ: ﴿وَإِذَا سَمِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ

---

١ سورة آل عمران.

٢ سورة الأحزاب.

أَعۡيُنَهُمۡ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمۡعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلۡحَقِّۖ يَقُولُونَ رَبَّنَآ ءَامَنَّا فَٱكۡتُبۡنَا مَعَ ٱلشَّٰهِدِينَ ٨٣ ﴾[1].

قال أكمل الرُّسل ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم: «ذَاقَ طَعْمَ الإِيمَانِ مَنْ رَضِيَ بِاللهِ رَبًّا، وَبِالإِسْلَامِ دِينًا، وَبِمُحَمَّدٍ ﷺ رَسُولاً»، رواه مسلم والترمذي وأحمد[2]، وهذا الذوق المنبعث عن هذا الرِّضا؛ هو المعرفة بالله.

ـ والمعرفة: نورٌ أسكنه الله تعالى قلب من أحبه من عباده، ولا شيء أجلَّ وأعظم من ذلك النور،

---

١ سورة المائدة.

٢ صحيح مسلم: كتاب الإيمان ــ باب الدليل على أن من رضي بالله رباً، وبالإسلام ديناً، وبمحمد ﷺ، رسولاً، فهو مؤمن، رقم: ١٥٠، وسنن الترمذي: لمحمد بن عيسى الترمذي (ت٢٧٩هـ) كتاب الإيمان، = =رقم: ٢٦٢٣، ومسند أحمد: لأحمد بن حنبل أبي عبد الله الشيباني (ت٢٤١هـ): رقم: ١٧٧٨، و ١٧٧٩.

وحقيقة المعرفة: حياة القلب بالمحيي، قال تعالى: ﴿أَوَمَن كَانَ مَيۡتٗا فَأَحۡيَيۡنَٰهُ ١٢٢﴾ [1]، وقال ـ جلَّ جلالُهُ: ﴿لِّيُنذِرَ مَن كَانَ حَيّٗا ٧٠﴾ [2]، وقال ـ سبحانه وتعالى: ﴿فَلَنُحۡيِيَنَّهُۥ حَيَوٰةٗ طَيِّبَةٗ ٩٧﴾ [3]، وقال ـ جلَّ مجدُه: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡ ٢٤﴾ [4]، فمن ماتت نفسه؛ بعدت عنه دنياه، ومن مات قلبه؛ بعد عنه مولاه، سُئل ابن السماك: متى يعرف العبد أنه على حقيقة المعرفة؟، قال: إذا شاهد الحق بعين اعتباره، فانيًا عن كلِّ ما سواه، قال هرم بن حَيَّان: المؤمن إذا عرف ربَّه ـ عزَّ

---

١ سورة الأنعام.

٢ سورة يس.

٣ سورة النحل.

٤ سورة الأنفال.

وجلَّ، أحبه، وإذا أحبه أقبل إليه، وقال أيضًا: من عرف نفسه وعرف ربه عرف قطعًا أنَّه لا وجود له من ذاته، إنما وجود ذاته، ودوام وجوده، وكمال وجوده؛ من الله وإلى الله وبالله؛ قال رسول الله ﷺ: «أَنا أَعْلَمُكم بالله»، رواه البخاري[1]، وأَنَّ المعرفةَ فعلُ القلبِ؛ لقولِ الله تعالى:﴿وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ ۗ ﴿٢٢٥﴾﴾[2].

وقيل المعرفة: فقدان رؤية ما سواه، بحيث يصير ما دون الله تعالى ـ عنده أصغر من خَرْدَلَةٍ، قال تعالى: ﴿قُلِ اللَّهُ ۖ ثُمَّ ذَرْهُمْ ﴿٩١﴾﴾[3]، من نظر إلى الله

---

١ صحيح البخاري: لأبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري الجعفي (ت٢٥٦هــ)، كتاب الإيمان ــ باب باب قول النبي ﷺ: «أنا أعلمكم بالله». وأن المعرفة فعل القلب، رقم: ٢٠.

٢ سورة البقرة.

٣ سورة الأنعام

تعالى ـ لم ينظر لا إلى الدنيا ولا إلى العقبى، وشمس قلب العارف أضوأ من شمس النهار، وأبهج منها في مطلع الأنوار.

ولله در القائل:ـ

طلعت شمس من أحبك ليلاً فاستنارت فما لديها غروب
إن شمس النهار تغرب ليلاً وشموس القلوب ليس تغيب

قال ذو النون: اطلاع الحق سبحانه على الأسرار بمواصلة المدد، كاطلاع الشمس على الأرض بإشراق الأنوار، فعليكم بتصفية القلوب، فإنها مواضع نظره ـ جلَّ جلالُهُ، ومواطن سره، فإن من عرف الله لا يختار غيره حبيبًا سواه[1].

---

١ ((حالة أهل الحقيقة مع الله)): للإمام أحمد الرفاعي، (ت ٥٧٨ هـــ): (ص ١٩ ــ ٢٠).

قال يحيى بن معاذ: المعرفة قرب القلب إلى القريب، ومراقبة الروح للحبيب، والانفراد على الكل بالملك المجيب، وقال ذو النون: هي: تخلية السر عن كل إرادة، وترك ما عليه العادة، وسكون القلب إلى الله بلا علاقة.

يروى أن الله تعالى أوحى إلى داود ـ عليه السَّلام: «يا داود، اعرفني، واعرف نفسك، فتفكر داود، فقال: إلهي عرفتك بالفردانية والقدرة والبقاء، وعرفت نفسي بالعجز والفناء، فقال: «الآن عرفتني».

وروي في الخبر: لو عرفتم الله تعالى حقَّ معرفته؛ لعلمتم العلم الذي ليس بعده جهل،

ولزالت الجبال بدعائكم، مع أنه لا ينتهي أحد ولا يبلغ منتهى معرفته، إن الله تعالى أعظم من أن ينتهي أحد إلى منتهى معرفته. ولا يعرف كل المعرفة عن ذاته إلا ذاته ـ جلَّ جلالُهُ، وتقدست أسماؤه وصفاته.

قال الإمام جعفر الصادق ـ عليه الرضوان والسَّلام: لا يعرف الله حقَّ معرفته من التفت منه إلى غيره، والمعرفة: هي طيران القلب في سرادق الأنس والألفة، جولاً في حجب الجلال والقدرة؛ وهذه حالة من صمت أذناه عن البطالات، وعميت عيناه عن النظر إلى الشهوات، وخرس لسانه عن التكلم بالترهات.

وسئل محمد بن واسع، هل عرفت ربك؟، فسكت ساعة، ثم قال: من عرف الله تعالى قل كلامه، ودام تحيره فنى عن صور الأعمال، وتحير مع الاتصال، متقربًا في جميع الأحوال، منقطعًا عن الحال إلى وليّ الحال، فإن الأمور بحقائقها لا بالحس وصورها.

قال أبو يزيد البسطامي: ليس على تحقيق بالمعرفة، من رضي بالحال دون ولي الحال، فإن من عرف الله كل لسانه، ودهش عقله، العارف ان تكلم بحاله هلك، وإن سكت احترق.

قال أبو بكر الواسطي: المعرفة على وجهين؛ معرفة الإيقان، ومعرفة الإيمان؛ فمعرفة الإيمان: شهادة اللسان بتوحيد الملك الديان، والإقرار

بصدق ما في القرآن، وأما معرفة الإيقان، فهي: دوام مشاهدة الفرد الديان بالجنان.

وقال بعضهم؛ هي على ضربين، الأول: هو أن يعرف أن النعمة من الله تعالى، قال الله تعالى: ﴿وَمَا بِكُم مِّن نِّعْمَةٍ فَمِنَ ٱللَّهِ ۝٥٣﴾[1]، فيقوم بشكره ، فيستزيد به النعمة من الله، بدليل قوله ـ جلَّ وعلا: ﴿لَئِن شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُمْ ۝٧﴾[2]، والثاني: رؤية المُنْعِم من غير أن يلتفت إلى النعمة فيزيد شوقه إلى المُنْعِم. ويقوم بحق معرفته ومحبته. وذلك

---

١ سورة النحل.

٢ سورة ابراهيم.

قوله سبحانه: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسْبُكَ ٱللَّهُ ﴾[1]، وقال ـ جلَّ ذكره: ﴿ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُلۡ حَسۡبِيَ ٱللَّهُ ﴾[2].

وقال ذو النون المصري: هي على ثلاثة أوجه، أولها: معرفة التوحيد، وهي لعامة المؤمنين.

والثاني: معرفة الحجة والبيان؛ وهي للعلماء والبلغاء والحكماء.

والثالث: معرفة صفات الفردانية؛ وهي لأهل ولاية الله تعالى وأصفيائه؛ الذي أظهر الله لهم ما لم يظهر لمن دونهم؛ وأعطاهم من الكرامات ما لم يجز أن يوصف ذلك بين يدي من لا يكون أهلاً له؛ خصهم الله من بين الخلائق واصطفاهم لنفسه واختارهم له، فحياتهم رحمة، ومماتهم غبطة، طوبى

---

١ سورة الأنفال.

٢ سورة التوبة.

لهم. وقال غيره: هي على وجهين: معرفة التوحيد؛ وهو اثبات وحدانية الواحد القهار، ومعرفة المزيد، وهي: التي لا سبيل لأحد إليها.

﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِى ٱلدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِى ٱلْءَاخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿٢٠١﴾﴾[1]، وحسنة الدنيا: الدين والمحبَّة، وحسنة الآخرة: الجنة والرضا. فتأمل.

قال الإمام الرفاعي: المعرفة، هي: كشجرة لها ثلاثة أغصان؛ توحيد وتجريد وتفريد؛ فالتوحيد بمعنى الإقرار، والتجريد بمعنى الإخلاص؛ والتفريد بمعنى الانقطاع إليه بالكلية في كل حال؛ وأول مدارج المعرفة التوحيد؛ وهو قطع الأنداد؛ والتجريد، وهو قطع الأسباب، (أي عن الفؤاد)،

---

١ سورة البقرة

والتفريد، وهو: بمعنى الاتصال بلا سير ولا عين ولا دون؛ ولها خمسة طرائق، أولها: الخشية في السر والعلانية؛ والثانية: الانقياد له في العبودية؛ والثالثة: الانقطاع إليه بالكلية؛ والرابعة: الإخلاص له بالقول والفعل والنية؛ والخامسة: المراقبة في كل خطرة ولحظة[1].

"أي سادة": التوحيد أساس المعرفة، فكل عارفٍ موحد، وليس كل موحدٍ عارفًا، ومنهج عقيدة العارف بالله، نقول وبالله التوفيق: قال الله ـ جلَّ جلالُهُ: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِى فِى ٱلسَّمَآءِ إِلَٰهٌ وَفِى ٱلْأَرْضِ إِلَٰهٌ ۚ وَهُوَ ٱلْحَكِيمُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨٤﴾﴾[2]، أي: وفي السماء معبودٌ،

---

١ حالة أهل الحقيقة مع الله، ص ٢١–٢٣.

٢ سورة الزخرف.

وفي الأرض معبودٌ؛ يعبده من فيهما، وكلهم له عابدون خاضعون، يعلم سرهم ونجواهم، ويعلم ما يكسبون، كما قال ـ جلَّ مجده: ﴿وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ ﴿٢٩﴾﴾[1]، وقال ـ جلَّ شأنه: ﴿أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌۢ ﴿٥٤﴾﴾[2]، أي: أحاط بكلِّ شيءٍ علماً وقدرةً وعزةً، وأحصى كلَّ شيءٍ عددا، كما قال ـ جلّت قدرته: ﴿وَأَحَاطَ بِمَا لَدَيْهِمْ وَأَحْصَىٰ كُلَّ شَيْءٍ عَدَدًۢا ﴿٢٨﴾﴾[3]، فلا يغيب عن علمه وسمعه وبصره ومشاهدته مثقال ذرةٍ في الأرض ولا في السماء، كما قال ـ جلَّ وعلا: ﴿وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي ٱلْأَرْضِ وَلَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَلَآ أَصْغَرَ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَٰبٍ

---

١ سورة البقرة.

٢ سورة فصلت.

٣ سورة الجن.

﴿مُّبِينٍ ٦١﴾[1] ، أي: قد أحاط به علمه، وجرى به قلمه؛ وهاتان المرتبتان من مراتب القضاء والقدر، وكثيرًا ما يقرن الله تعالى بينهما، وهما: "العلم المحيط بجميع الأشياء، وكتابته المحيطة بجميع الحوادث"؛ كما قال ـ تبارك تعالى: ﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلْأَرْضِ ۗ إِنَّ ذَٰلِكَ فِي كِتَٰبٍ ۚ إِنَّ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ٧٠﴾[2]، فالله ـ سبحانه وتعالى، يسيرٌ عليه أن يحيط علماً بجميع الأشياء، لا يخفى عليه منها خافية ـ من ظواهر الأمور وبواطنها، خفيها وجليها، متقدمها ومتأخرها.

---

١ سورة يونس.

٢ سورة الحج.

"أيها السادة": كانَ اللهُ ـ جلَّ جلالُهُ، ولا ماءَ، ولا عرشَ، ولا هواءَ، ولا ذرةَ وجود، كما قال ـ عليه الصَّلاة والسَّلام: «كَانَ اللَّهُ وَلَمْ يَكُنْ شَيْءٌ غَيْرُهُ» رواه البخاري1. فكَونَ الكونَ بإرادتهِ وقدرتهِ، وبكلِّ إعجازٍ وتقدير، وَهوَ، هوَ، على ما هوَ عليه موجود، وهو الغنيُّ الحميد، عن الكيف والزمان والمكان؛ لأنَّ الكيف والزمان والمكان مخلوقون، وهم من صفات الخلق. والله ـ سبحانه وتعالى، لا يتشبه بما خلق، كما قال ـ جلّت عظمته: ﴿ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلۡغَنِيُّ ٱلۡحَمِيدُ ۝٦٤ ﴾[2]، وهو القدوس في ذاته وصفاته

---

١ صحيح البخاري: كتاب بدء الخلق ــ باب ما جاء في قول الله تعالى: ﴿وَهُوَ ٱلَّذِي يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهۡوَنُ عَلَيۡهِۚ﴾، رقم: ٣١٩١.

٢ سورة الحج.

وأفعاله، فتكلم الحق ـ جلَّ وعلا، عن خلق السماوات والأرض، وخلق العرش، والكون كلّه؛ وهو الموجود بذاته قبل ذرة الوجود كلّه، فأين الزمان يا سادة؟!، فالزمان إذًا مخلوق .

ـ أما المكان: فإنَّ الله ـ تعالى وتقدس، ذكر الاستواء على السماوات، كما قال ـ جلَّت قدرته: ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴿١١﴾ ﴾[1]، وقال ـ جلَّ في علاه: ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِى سِتَّةِ أَيَّامٍ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰ عَلَى ٱلْعَرْشِ ۚ ٱلرَّحْمَٰنُ فَسْـَٔلْ بِهِۦ خَبِيرًا ﴿٥٩﴾ ﴾[2]، فالعرش العظيم، الذي يسع السماوات والأرض وما

---

١ سورة فصلت.

٢ سورة الفرقان.

فيهما، استوى استواءً يليق بجلاله وعظمته وسلطانه، مستغنٍ عما خلق ـ خالق الزمان والمكان ـ وهو الأبدي الأزلي، الواحد القدوس ـ في ذاته وصفاته وأفعاله ـ جلَّ جلالُهُ، وعمَّ فضلُهُ ونوالُهُ. فسبحان من لا تَبْلُغُهُ الأوْهَامُ، ولا تُدْرِكُهُ الأفْهَام، ﴿لَيْسَ كَمِثْلِهِۦ شَىْءٌۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١١﴾﴾[1].

ـ قال إمامنا الشافعي رضي الله عنه: من انتهض لمعرفة مدبره فانتهى إلى موجود ينتهي إليه فكره ـ فهو مشبه. وإن اطمأن إلى العدم الصرف ـ فهو معطل. وإن اطمأن لموجودٍ، واعترف بالعجز عن إدراكه ـ فهو موحِّد[2].

"أي سادة": (فسبيلُ المتقين من السلف تنزيهُ الله

---

١ سورة الشورى.

٢ ((البرهان المؤيد)): (ص١٦).

تعالى عما دلَّ عليه ظاهره، وتفويض معناه المراد منه إلى الحقّ تعالى وتقدس؛ وبهذا سلامَةُ الدين). فتنبه.

قال ـ جلَّ مجدُه: ﴿وَهُوَ مَعَكُمْ أَيْنَ مَا كُنتُمْ ﴿٤﴾﴾[1] قال العلامة البيضاوي في "تفسيره": "لا ينفك علمه وقدرته عنكم بحال". قال ـ جلَّ جلالُهُ: ﴿أَلَآ إِنَّهُۥ بِكُلِّ شَيْءٍ مُّحِيطٌ ﴿٥٤﴾﴾[2]، علماً وقدرةً وعزةً.

ـ"أي سادة": هذا "تجليٌّ علميٌّ"، "لا ذاتيٌّ" ـ وهذا سّر الالتباس الحاصل عند بعض أهل العمل الروحي الإسلامي وغيرهم، وقد زلّت به أقدامٌ، ومنها: القول بوحدة الوجود، أو الحلول الاحتياجي ـ في اللطائف كالروح، والكثائف كالعرش وغيرهما، ونسأله ـ تبارك وتعالى ـ

---

١ سورة الحديد.

٢ سورة فصلت

السلامة من معاني الكفر؛ لأنه سبحانه ـ تنزه عن المكان والكون كلّه؛ فلو كانَ في كلِّ مكانٍ ـ فإنه احتياجٌ إلى غيره ـ كحلول المحتاج للمحتاج إليه، كحلول المتحيّز المختلط بحيزه ـ كقطرة حبرٍ تصبُها في الماء وتختلطُ معهُ بحيث لا يتمايز أجزاؤه، فهذا واجبٌ تنزيهُه ـ تبارك وتعالى ـ ربّنا عن ذلك وتقدس؛ أما وجودُ الباري تعالى في الموجودات الممكنة المسمى "بالحضور فيها"، فلولا ذلك لزمَ أن يكون الباري تعالى خارجًا عن الكون، فثبت له الجهةُ التي يجب تنزيهُه عنها؛ فوجودُهُ إذاً "حضورٌ استغنائيٌ" كما كان "قبل الخلق والأمر"، كما قال جلَّ مجدُهُ: ﴿لِلَّهِ ٱلۡأَمۡرُ مِن قَبۡلُ وَمِنۢ بَعۡدُ ﴾[1]. قال

---

١ سورة الروم.

جدنا عليٌّ المرتضى ـ رضي الله عنه، وكرم الله وجهه: سبحان ربي لا يُدرك بالحواس، ولا يقاسُ بالقياس، فوقَ كلّ شيءٍ، وليس تحتَهُ شيءٌ، وهو في كلِّ شيءٍ، لا كشيءٍ في شيءٍ، ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ ﴿١١﴾﴾.

وقال الإمام جعفر الصادق ـ رضي الله عنه: (من زَعمَ أنَّ الله في شيءٍ، أو من شيءٍ، أو على شيءٍ، فقد أشركَ ـ إذ لو كان على شيء لكان محمولاً، ولو كان في شيءٍ لكان محصوراً، ولو كان من شيءٍ لكان محدَثاً) .

سُئل بعضُ العارفينَ عن الخالقِ ـ تقدستْ أسماؤُهُ. فقال للسائل: إن سألت عن ذاته، فـ ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ ﴿١١﴾﴾. وإن سألت عن صفاته، فهو:

﴿هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ۝١ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ۝٢ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ۝٣ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ۝٤﴾[١]. وإن سألت عن اسمه، فـ ﴿هُوَ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۖ عَٰلِمُ ٱلْغَيْبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ ۖ هُوَ ٱلرَّحْمَٰنُ ٱلرَّحِيمُ ۝٢٢﴾[٢]. وإن سألت عن فعله، فـ ﴿كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ ۝٢٩﴾[٣]. أمور يبديه، ولا يبتديه.

"أي إخوتي": القرب نوعان: ماديٌ يتعدى بـ "إلى"، ومعنويٌ، وهو: القبول ويتعدى بـ "من"، فلفظ "من" في الحديث الشريف دليلٌ على أنَّ المراد به "القرب"، وهو "القبول والرضا" لقوله ـ صلى الله عليه وسلم: «أَقْرَبُ مَا يَكُونُ الْعَبْدُ مِنْ

---

١ سورة الإخلاص.

٢ سورة الحشر.

٣ سورة الرحمن.

رَبِّهِ وَهُوَ سَاجِدٌ، فَأَكْثِرُوا الدُّعَاءَ»، رواه مسلم وأبو داود والنسائي وأحمد[1]، كما قال ـ جلَّ ثناؤه: ﴿وَٱسْجُدْ وَٱقْتَرِب ۩ (١٩)﴾[2]، وقال ـ عزَّ ذكره: ﴿هُوَ ٱلْأَوَّلُ وَٱلْآخِرُ وَٱلظَّٰهِرُ وَٱلْبَاطِنُ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ (٣)﴾[3]، قال أكمل الرسل ـ صلى الله عليه وآله وسلم: «اللَّهُمَّ أَنْتَ الأَوَّلُ فَلَيس قَبْلَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الآخِرُ فَلَيْسَ بَعْدَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الظَّاهِرُ فَلَيْسَ فَوْقَكَ شَيْءٌ، وَأَنْتَ الْبَاطِنُ فَلَيْسَ دُونَكَ شَيْءٌ» رواه مسلم

---

١ صحيح مسلم: كتاب الصلاة ــ باب ما يقال في الركوع والسجود، رقم: ١٠٨٣، وسنن أبي داود: لسليمان بن الأشعث السجستاني الأزدي (ت٢٧٥هـ)، كتاب الصلاة ــ باب في الدعاء في الركوع والسجود، رقم: ٨٧٥، وسنن النسائي: لأبي عبد الرحمن احمد بن شعيب النسائي (ت ٣٠٣هـ)، كتاب التطبيق ــ باب أقرب ما يكون العبد من الله عزَّ وجل، رقم:– ١١٣٧، مسند أحمد، رقم: ٩٤١٥.

٢ سورة العلق.

٣ سورة الحديد.

وغيره[1]. فإذا ما تجلى الحقُ بإرادته، خُلقَ الفعل كاملاً في التقدير، وبحسب مقتضى الحال ـ في الكثائف واللطائف، فيقع الأثرُ بقدرته؛ فأصبحت القدرةُ واضحةً ظاهرةً، فالقدرةُ من القادر سبحانه. فإذا ما أمرَ الحقُ خُلق الشيءُ فأصبح التقديرُ ظاهراً عندنا ـ فتسمى "صفةُ التقدير" فلا هي غيرُ الذات في إرادة التجلي، ولا مُنفصلةٌ عن الذاتِ من حيث الأمر والتقدير ـ بقدرة التجلي الإلهي، فهو خالقُ القُوى والقُدَر ـ تبارك وتعالى ربنا وتقدس، قال ـ جلَّ شأنه: ﴿إِنَّمَآ أَمْرُهُۥٓ إِذَآ أَرَادَ

[1] صحيح مسلم: كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ـ باب ما يقول عند النوم وأخذ المضجع، رقم: ٦٨٢٧، وسنن أبي داود: كتاب الأدب ـ ما يقال عند النوم، رقم: ٥٠٥١، وسنن ابن ماجه: لمحمد بن يزيد القزويني (ت٢٧٣هـ)، كتاب الدعاء ـ باب ما يدعو به إذا أوى إلى فراشه، رقم: ٣٨٧٣.

﴿شَيۡـًٔا أَن يَقُولَ لَهُۥ كُن فَيَكُونُ ٨٢﴾[1]، أي: بأمره ـ جلَّ وعلا، فيوجد. قال ابن عطاء الله السكندري، في كتابه "القصد المجرد في معرفة الاسم المفرد": فكل اسم من أسمائه ـ جلَّ جلالُهُ، إن أظهره فهو صفة هذا الاسم ونعته.

فيجبُ على العبد المسلم: أن يقدسَ الربَّ الرّحيم ـ جلّت عظمتُه، في ذاته وصفاته وأفعاله، فهو القدوس ـ المنزهُ عن الحدثِ، والشبيه، والنظير، ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ شَيۡءٞۖ وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡبَصِيرُ ١١﴾ ، أي: ليس يشبهه تعالى ولا يماثله شيء من مخلوقاته، لا في ذاته ولا في أسمائه، ولا في صفاته، ولا في أفعاله؛ لأنَّ أسماءه تعالى كلّها حسنى،

---

١ سورة يس.

وصفاته صفات كمال وعظمة، وأفعاله تعالى أوجد بها المخلوقات العظيمة من غير مشارك، فليس كمثله شيء، لانفراده وتوحيده بالكمال من كلِّ وجه؛ ﴿لَيۡسَ كَمِثۡلِهِۦ﴾ أي كذاته تعالى، ﴿شَيۡءٞ﴾ في شيء من أوصافه، ﴿وَهُوَ ٱلسَّمِيعُ﴾، للأقوال ﴿ٱلۡبَصِيرُ﴾ بالأحوال. "فلا تشبيه ولا تعطيل". فتأمل.

أمّا التَّجَلّي فصِفْ ما شئتَ من مَثَلٍ

فكلُّ حُسنٍ زَها الكونَيْنِ مَرْقاه.

"أي سادة": فالقلب محل نظر الحقّ ـ جلَّ وعلا ـ وقد ذكر تعالى القلب في القرآن المجيد أكثر من مائة وأربعين مرة، والقلب مظهرٌ لتجليات الحقّ، ومستودعٌ لفيوضاته ـ جلَّ وعلا. والقلب كالمرآة لو وجهتها إلى جبل عظيم، فترى

أنَّ صورة الجبل دخلت في داخل المرآة، فلا هو الجبل، ولا هو غير الجبل، إنما صورة الجبل المنطبعة داخل المرآة، ولم يتأثر بها الجبل - فهو على ما هو عليه، وعلى قدر صفاء المرآة تكون رؤية الجبل أكثر وضوحًا. "ولله المثل الأعلى": فإنَّ القلب إذا ما توجه إلى الله ﷻ، بيقينٍ، وصفاءٍ، ومحبةٍ؛ فإنَّ الحقّ تعالى سيتجلى إلى فؤاد عبده، فصورة الجلال تنطبع في فؤاده، وهذه من معاني: "الله بقلب عبده المؤمن" أي: مشاهدته، وحبّه، وهي من تجليات رحمة الله الجلالية والجمالية، يا الله، آمينَ آمين.

اللّهُمَّ؛ أنت ربّي، لا إله إلا أنت خلقتني وأنا عبدُكَ، وأنا على عهدِكَ ووعدِكَ ما استطعتُ، أعوذُ بِكَ من شرِّ ما صنعتُ، أبوءُ لك بنعمتِك عليَ، وأبوءُ بذنبي فاغفرْ لي، فإنهُ لا يغفِرُ الذنوبِ إلا أنت.

"أي سادة": قال رسول الله ﷺ: «الْكَيِّسُ[1] مَنْ دَانَ نَفْسَهُ[2] وَعَمِلَ لِمَا بَعْدَ الْمَوْتِ، وَالْعَاجِزُ مَنْ أَتْبَعَ نَفْسَهُ هَوَاهَا، وَتَمَنَّى عَلَى اللَّهِ»، رواه الإمام أحمد والترمذي وابن ماجه والحاكم[3].

فالعمل بسر هذا الحديث؛ هو المعرفة؛ نعم ان المعرفة من العبد، والتعريف من الرَّب تعالى؛ وهي أشرف وأعظم الهدايا التي يهديها إلى عباده، فإن الله تعالى إذا أراد أن يختار عبدًا من عبيده ويفضله

---

١ العاقل المتبصر في الأمور، الناظر في العواقب.

٢ أي: حاسبها، وأذلها، واستعبدها، وقهرها، حتى صارت مطيعة منقادة.

٣ مسند أحمد: (٢٨/٣٥٠)، رقم: ١٧١٢٣، وسنن الترمذي: كتاب صفة القيامة والرقائق والورع ــ باب منه، وسنن ابن ماجه: كتاب الزهد ــ باب ذكر الموت والاستعداد له، والمستدرك على الصحيحين: لأبي عبد الله الحاكم محمد بن عبد الله النيسابوري المعروف بابن البيع (ت ٤٠٥هـ): (١/١٥٠)، رقم: ١٩١.

على من سواه من خلقه، ويطلع في سره شمس المعرفة ينظر إليه بعين الفضل والرحمة، ويفتح له أبواب الهداية ثم يكرمه بالانتباه، ويوقظه من نومة الغافلين، وينعم ويمن عليه بشرح القلب، ويذهب عنه موت القلب بالفهم[١]، ويذهب عنه الوهم، ويكرمه بالحياء والخوف واليقين، ويذهب عنه الشك وجراءة الأمن، فإذا اجتمعت في العبد هذه الخصال، أشرق فؤاده بنور، فيرى ما دون حجب

---

١ أي يفهم أن ما عند الله لا ينال إلا بطاعته، ومتى فهم هذا ذهب عنه الوهم وهو ترك العمل الصالح والإصرار على المعصية اعتمادًا على أن الله غفور رحيم، عفو كريم، قال الحسن: ان قومًا ألهتهم الأماني حتى خرجوا من الدنيا وما لهم حسنة، يقول أحدهم: إني أحسن الظن بربي، وكذب لو أحسن الظن لأحسن العمل، قال تعالى: {ذَلِكُمْ ظَنُّكُمُ الَّذِي ظَنَنْتُمْ بِرَبِّكُمْ أَرْدَاكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ مِنَ الْخَاسِرِينَ}.

الجبروت، وتشتاق إليه الجنان، ويخمد منه لهبات النيران، "ولو أن المعرفة نقشت على شيء ما نظر إليها أحد إلا مات من حسنها وجمالها. لكل أحد رأس مال، وهي رأس مال المؤمن".

قال بعض الكبار: إن المعرفة كشجرة يغرسها ملك في بستانه، ثمينة جواهرها، مثمرة أغصانها، حلوة ثمارها، طريفة أوراقها، رفيعة فروعها، نقية أرضها عذبٌ ماؤها طيب أريجها، صاحبها مشفق عليها لعزتها، مسرور بحسن زهرتها، يدفع عنها الآفات، ويمنع عنها البليات، وكذلك شجرة المعرفة التي يغرسها الله تعالى في بستان قلب عبده المؤمن، فإنه يتعهدها بكرمه، ويرسل إليها كل ساعة

سحائب المنة من خزائن الرحمة، فيمطر عليها قطرات الكرامة، برعد القدرة، وبرق المشيئة، ليطهرها من غبار رؤية العبودية، ثم يرسل عليها نسيم لطائف الرأفة، من حجب العناية، ليتم لها شرف الولاية بالصيانة والوقاية.

فالعارف أبدًا يطوف بسره تحت ظلالها، ويشم من رياحينها، ويقطع منها بمنجل الأدب ما فسد من ثمارها، وحل فيها من الخبث والآفة، فإذا طال مقام سر العارف تحتها، ودام جولانه حولها، هاج أن يتلذذ بثمارها، فيمد إليها يد الصفاء ويجتني ثمارها بأنامل الحرمة، ثم يأكلها بفم الاشتياق، حتى تغلبه نار الاستغراق، فيضرب يد

الانبساط إلى بحر الوداد، ويشرب منه شربة يسكر بها عن كل ما سوى الحق سكرة لا يفيق منها إلا عند المعاينة ثم يطير بجناح الهمة، إلى ما لا تدركه أوهام الخلائق.

قيل ليحيى بن معاذ: ما بال العارفين أحسن وجوهًا، وأكثر هيبة من غيرهم؟، فقال: لأنهم خلوا بالله مستأنسين، وقربوا إلى الله متوجهين، وفزعوا إليه متوالهين، فكساهم الله بنور معرفته، فيه ينطقون، وله يعملون، ومنه يطلبون، وإليه يرغبون، أولئك خواص الله السابقون، سعيهم في طاعة الله من غير علاقة، وينصحون العامة من غير طمع، مشتاقون منيبون إلى الله تعالى، قلوبهم له وجلة،

نفوسهم وحشية وقلوبهم عرشية، وعقولهم مغشية، وأرواحهم ياسينية، كلهم معصوم بقلبه عن فتنة الناس، وذكر الله يحميه من شر الوسواس، صدره مشروح، وجسمه مطروح، وقلبه مجروح، وباب الملكوت له مفتوح قلبه مثل القنديل، وجوارحه خاضعة كالمنديل، لسانه مشغول بتلاوة القرآن، ولونه مصفر من خوف الهجران، ونفسه ذائبة في خدمة الرحمن، وقلبه زاهر بنور الإيمان، نفسه مشغولة بالطلب، وروحه مشغولة بقرب الرَّب على لسانه وصف الربوبية، وعلى أركانه خدمة الديمومية، وعلى نفسه أثر العبودية، وفي قلبه هيبة الفردانية، وفي سره الطرب بالأُلوهية، وفي روحه

شغف الوجدانية، أفواههم إليه ضاحكة، وأعينهم نحوه طامحة، وقلوبهم به متعلقة، وهمومهم إليه واصلة، وأسرارهم إليه ناظرة، رموا ذنوبهم في بحر التوبة، وطرحوا طاعاتهم في بحر المِنَّة، وضمائرهم في بحر العظمة، ومرادهم في بحر الصفوة، وهممهم في بحر المحبة، في ميادين خدمته يتقلبون، وتحت ظلال كرمه يتنفسون، وفي رياض رحمته يرتعون، وفي رياحين امتنانه يشمون، ينظرون إلى الدنيا بعين الاعتبار، وإلى الآخرة بعين الانتظار، وإلى أنفسهم بعين الاحتقار، وإلى طاعاتهم بعين الاعتذار لا الاستكثار، وإلى الغفران بعين الافتقار، وإلى المعرفة بعين الاستبشار، وإلى المعروف

سبحانه بعين الافتخار، يرمون أنفسهم إلى البلوى، وأرواحهم إلى العقبى، وقلوبهم إلى النجوى، وأسرارهم إلى المولى، أنفسهم تاركة للدنيا، وأرواحهم للعقبى، وقلوبهم مستأنسة بالذكرى، وأسرارهم بحب المولى، قلوبهم معدن التعظيم والهيبة، وألسنتهم معادن الحمد والمدحة، أرواحهم مواطن الشوق والمحبة، وأنفسهم مقهورة تحت سلطان العقل والفطنة، أكثر همتهم التفكير والعبرة، وأكثر كلامهم الثناء والمدحة، عملهم الطاعة والخدمة ونظرهم إلى لطائف صنع ربِّ العزة، أحدهم تراه مصفرًا من خوف فراقه، ذائب الأطراف من هيبة جلاله، طويل الانتظار شوق إلى

لقائه، سلك طريق المصطفى، ورمى الدنيا خلف القفا، وذاق الهوى طعم الجفا، وقام على قدم صدق الوفا، حاله في الدنيا غريب، وقلبه في صدره غريب، وسره في نفسه غريم، فلا يستريح من هم الغربة ووحشتها؛ ما لم يصل إلى الحبيب، فأمره عجيب، والمولى له طبيب، كلامه وجداني، وقلبه فرداني، وعقله رباني، وهمه صمداني، وعيشه روحاني، وعمله نوراني، وحديثه سماوي، جعل الله قلبه موضع سره، وموطن نظره، وزينه بحلى ربوبيته، وأدخله دار الإمارة من سلطانه، يدور بالفؤاد حول عزته، ويرتع في روضات قدسه، ويطير بجناح المعرفة في سرادقات غيبه، ويجول في

ميادين قدرته، وحجب جبروته لو رآه الجاهل بشأنه مات فزعًا بعد معرفته له من ساعته، علامته في الدنيا أن يكون البلاء عنده عسلا، والأحزان رُطبا، وفي الآخرة كل واحدٍ يقول نفسي نفسي، وهو يقول ربي ربي، مرادي مرادي، والعارف علامته أربعة: "حبه الجليل، وتركه الكثير والقليل، واتباعه التنزيل، وخوفه من التحويل، العابد ذو نصب، والخائف ذو هرب، والمحب ذو شغب، والعارف ذو طرب".

وقيل المعرفة خمسة أحرف، فمن وجد في نفسه معناها فليعلم أنه من أهلها؛ بالميم ملك نفسه، وبالعين عبد الله على صدق الوفاء، وبالراء رغب

إلى الله بالكلية، وبالفاء فوض أمره إلى الله، وبالهاء هرب من كل ما دون الله إلى الله؛ فكل عارفٍ يملك نفسه بقدر معرفته بكبريائه تعالى وعظمته، ويعبد ربه على قدر معرفته بربوبيته، ويرغب إليه على قدر معرفته بفضله وامتنانه، ويفوض أمره إليه على قدر معرفته بقدرته، ويهرب إليه على قدر معرفته بملكه وسلطانه؛ فهو عارفٌ بالله.

حكي أن عبد الواحد بن زيد ـ رحمه الله، قال: قصدت بيت المقدس فأضللت طريقي، فإذا بامرأة أقبلت إليَّ؛ فقلت لها يا غريبة: أنت ضالَّة؟، قالت: كيف يكون غريبًا من يعرفه؟، وكيف يكون ضالاً من يحبه؟، ثم قالت: خذ رأس عصاي وتقدم بين

يدي مشيًا، فأخذت رأس عصاها ومشيت بين يديها، سبعة أقدام أقل أو أكثر، فإذا أنا في مسجد بيت المقدس، فدلكتُ عيني، قلت: لعلَّ هذا غلط مني، فقالت: يا هذا! سيرك سير الزاهدين، وسيري سير العارفين، فالزاهد يسير، والعارف يطير، وأنى يلحق السيَّار الطيَّار؟، ثم غابت فلم أرها بعدها. اللّهُمَّ؛ افتح علينا.

"أي عزيزي"، اعلم: أنَّ العلم هو نور الطريق إلى الله تعالى، والعمل بأحكام الشريعة الغراء بهذه الدلالة العظيمة، هو: السير بطريق النور إلى الله ﷻ؛ كما قال الله تعالى على لسان نبيه إبراهيم ـ عليه السلام: ﴿إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَىٰ رَبِّي

سَيَهۡدِينِ ﴿٩٩﴾ ﴾[1]، والعمل بالمقربات إلى الله، ومن عظيم ذلك حضور الفكر مع الله، وذكر الله في القلب؛ كما قال سبحانه وتعالى، على لسان نبيه موسى ـ عليه السلام: ﴿وَعَجِلۡتُ إِلَيۡكَ رَبِّ لِتَرۡضَىٰ ﴿٨٤﴾ ﴾[2]، وقال أكمل الرسل ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم، عن الله ﷻ، أنه قال: «وَمَنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ شِبْرًا، تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ ذِرَاعًا، وَمَنْ تَقَرَّبَ إِلَيَّ ذِرَاعًا، تَقَرَّبْتُ إِلَيْهِ بَاعًا، وَإِذَا أَقْبَلَ إِلَيَّ يَمْشِي، أَقْبَلْتُ إِلَيْهِ أُهَرْوِلُ»، متفق عليه[3].

---

١ سورة الصافات.

٢ سورة طه.

٣ صحيح البخاري: كتاب التوحيد ــ باب ذكر النبي ﷺ وروايته عن ربه، رقم: ٧٤٠٥، وصحيح مسلم: كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ــ باب الحث على ذكر الله تعالى، رقم: ٢٦٧٥.

والإخلاص والصفاء؛ سر الحفظ بطريق الله إلى الله تعالى، القائل: ﴿مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ وَيُقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَيُؤۡتُواْ ٱلزَّكَوٰةَۚ وَذَٰلِكَ دِينُ ٱلۡقَيِّمَةِ ٥﴾[1]، والمحبة التي هي على الروح، والمعرفة بالله التي هي في القلب، وبهما: تحقيق الوصول إلى رضاء الله ومحبته؛ كما قال ـ جلَّ ثناؤه: ﴿فَإِنَّكَ بِأَعۡيُنِنَاۖ ٤٨﴾[2]، وقال ـ جلَّ وعلا: ﴿وَٱصۡطَنَعۡتُكَ لِنَفۡسِي ٤١﴾[3]، وقال ـ جلَّ جلالُهُ: ﴿إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡأَعۡلَىٰ ٦٨﴾[4]، وقال سبحانه: ﴿وَلَسَوۡفَ يَرۡضَىٰ ٢١﴾[5].

---

١ سورة البينة.

٢ سورة الطور.

٣ سورة طه.

٤ سورة طه.

٥ سورة الليل.

قالوا: إن لله عبادًا اصطفاهم لمعرفته، وخصهم لمحبته، واختارهم لصحبته، واجتباهم لمؤانسته، وقربهم لمناجاته، وحرضهم على ذكره، وأنطقهم بحكمته، وأذاقهم من كاس محبته، وفضلهم على جميع خلقه، حتى لم يريدوا به بدلا، ولا سواه كفيلا، ولا دونه ناصرًا ومعينًا ووكيلا، ولقد سبقوا من دونهِ سبقًا ـ لا بكثرة الأعمال، ولكن بصحة الإرادات، وحسن اليقين، مع دقائق الورع، والانقطاع بالقلب إليه، وتصفية السر عن كل ما دون الحقِّ، فأذاقهم الله طعم لباب معرفته، وأنزلهم في حظيرة قدسه، لا يصبرون عن ذكره، ولا يشبعون من بره، ولا يستريحون لغيره، فطوبى لهم، هم

الأقلون عددًا، والأعظمون خطرًا، بهم يحفظ الله محبته، حتى يؤدونها إلى نظرائهم، فيا طوبى لهم، هم الزاهدون فيما رغب فيه الغافلون، والمستأنسون فيما استوحش منه الجاهلون، والمشتاقون إلى ما هرب عنه الساهون، هم الذين نظروا بأعين القلوب إلى حجب الغيوب، وجالت أرواحهم في الملكوت، فهمتهم في سرهم، وسرهم عند ربهم، به يستمعون، وبه ينظرون، وبه يريدون، وبه يتحركون، قلوبهم بحبها مستأنسة بأنسها ـ رضوان الله عليهم أجمعين.

قال ذو النون: للعارف نار ونور؛ نار الخشية، ونور المعرفة، فظاهره محترق بنار الخشية، وباطنه

منور بنور المعرفة، فالدنيا تبكي بعين الفناء عليه، والآخرة تضحك بسن البقاء إليه، فكيف يقدر الشيطان أن يدنو منه ظاهرًا وباطنًا إلا كالبرق الخاطف، أو كالريح العاصف، فإن أتاه عارضٌ من قبل العين أحرقته نار العبرة، وإن أتاه من قبل النفس أحرقته نار الخدمة، وإن أتاه من قبل العقل أحرقته نار الفكرة، وإن أتاه من قبل القلب أحرقته نار الشوق والمحبة، وإن أتاه من قبل السر أحرقته نار القرب والمشاهدة؛ فتارة يحرق قلبه بنار الخشية، وتارة يتشفى بنور المعرفة، فإذا امتزجت نار الخشية ونور المعرفة، هاجت ريح اللطف من سرادقات

الأنس والقربة، فيظهر صفاء الحقِّ للعبد، فتراها تلاشت الأنانية، وبقيت الألوهية كما هو في الأزل.

"أي سادة"، العارف بالله: من عرف الله وخافه واتقاه، حاضر الفكر بالله، مستمر الذكر بالله، أُنسه وافتقاره في خدمة مولاه، فهو: صاحب ثقافةٍ، وحالٍ بالله.

ومنازل العارف ثلاثة: عارفٌ في الله، وعارفٌ لله، وعارفٌ بالله، "أما العارف في الله"، فهو: صاحب معرفة.

"وعارفٌ لله"، وهو: صاحب أحوال ومقامات بالله ـ جلَّ وعلا.

"وعارفٌ بالله"، وهو: المتحقق، وهو صاحب "فناء وبقاء"، فالفناء هو: التجرد بما لا يليق باستغراقك بعظمة الباري الجليل، "والبقاء": بقاؤك بما أمرك وأحبك ـ جلَّ جلالُهُ، فتكون بين الإنابة، والخدمة، والحضور والذكر ـ شوقًا وأنسًا.

ـ فالأول: علم العارف ورجاؤه، والثاني: حال العارف وقبوله، والثالث: تحقيق العارف، وتوفيقه وتأييده الرَّباني، قال ـ جلَّ ذكرُه: ﴿ ثُمَّ أَوْرَثْنَا ٱلْكِتَٰبَ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا ﴿٣٢﴾ ﴾[1]، فكتب الحقُّ ـ جلَّ جلالُهُ، البقاء من آتاه من الحكمة والشريعة وقوَّة التزكية في قلوب أتباعه الآخرين كإتباعه الأوَّلين؛

---

١ سورة فاطر.

كما قال أكمل الرُّسل ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم: «أولياء الله الذين إذا رُؤوا[1]، ذكر الله»[2].

"أي سادة": العارف بالله زاد التقوى، كما قال الأسياد: عليٌّ وابنُ مسعود وأنس ـ رضي الله تعالى عنهم، قالوا: ((المتقون سادة، والفقهاء والعلماء قادة، ومجالستهم زيادة)) رواه أبو داود والطبراني[3].

---

١ أي: بالبصر أو البصيرة عندها يعني أنهم في الاختصاص بالله بحيث إذا رؤوا خطر الله تعالى ببال من رآهم، لما فيهم من سيما العبادةِ، وظهور المراقبةِ، والفقر على شمائلهم أو أن من رآهم يَذكُر الله لرؤيتهم).

٢ قال نور الدين علي بن أبي بكر بن سليمان الهيثمي: (ت٨٠٧هـ) في ((مجمع الزوائد))، (١٠/٨٠): رواه البزار عن شيخه علي بن حرب، ولم أعرفه، وبقية رجاله ثقات.

٣ الزهد، لأبي داود: (ص١٥٩)، والمعجم الكبير: (٩/١٠٥)، رقم: ٨٥٥٣.

"أي إخوتي"، الشريعة: أقوال، وهي: إرادة الطريق إلى الله تعالى، أو النظر إليه قبل المسير.

والطريق إلى الله: أفعالٌ بالشريعة الغراء، وهو: التمحض بالحقِّ الحقيقي، وهو: السير به بذلك النور.

والمحبة: أحوالٌ بالله، وهي: التفرد إلى الله ـ تبارك وتعالى، وهي: التعلق بذات الحقِّ، والتأله لله وحده.

والمعرفة: كمالٌ، وهي: الخوف من الله، مع كمال الذل والخضوع إلى الله ـ جلَّ وعلا، القائل: ﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾﴾[١]، جنة المعرفة في

---

[١] سورة الرحمن ــ جلَّ جلالُهُ.

الدنيا، وجنة المشاهدة والرضا في الآخرة؛ فمن لم يدخلها في الدنيا كيف يدخلها في الآخرة: وأقول:ـ

جنات ذكرك في الفؤاد معالم   ومعاني حبك للجنان حنان

ووداد حبك للجنان محاسن   تبقى وحبـك للنعيم جنـان

والنوافل: فإنها من المقربات إلى الله تعالى، وهي:ـ زاد العارفين في طريقهم إليه سبحانه وتعالى.

والمحبوبات: نفحات اجتباء، لقرب المحبوب إلى أنسه ورضاه ـ جلَّ جلالُهُ، وعمَّ فضلُهُ ونوالُهُ.

والمعرفة: نفحاتٌ من الله، وتحقيق المحبوبية بفضل الله ورحمته؛ ﴿ قُلۡ بِفَضۡلِ ٱللَّهِ وَبِرَحۡمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلۡيَفۡرَحُواْ ﴿٥٨﴾ ﴾[1] .

قال الشيخ أبو بكر الواسطي: من عرف الله أحبه، ومن أحبه أطاعه، ومن أطاعه قطع عن قلبه كل ما دونه، ومن حرم المعرفة حرم حلاوة الطاعة، ومن حرم حلاوة الطاعة حرم المؤانسة في الخلوة، فلا يجد في المعاملة رؤية المنة، ولا يعرف قدر الله على الحقيقة، ويغلب في الأحوال فيسقط عن استقامة السر مع الحق ـ جلَّ جلالُهُ، وعمَّ نوالُهُ؛ قال الله تعالى في بعض الكتب: ((من أرادنا أردناه،

---

[1] سورة يونس

ومن أراد منا أعطيناه، ومن أحبنا أحببناه، ومن اكتفى بنا عما لنا كنا له وما لنا، ألا من طلبني وجدني، ومن طلب غيري لم يجدني))، قيل: ألا من طلبني بالتوبة وجدني بالمغفرة، ومن طلبني بشكر النِّعمة وجدني بالزيادة، ومن طلبني بالدعاء وجدني بالإجابة، ومن طلبني بالتوكل وجدني بالكفاية، ومن طلبني بالقربة وجدني بالمؤانسة، ومن طلبني بالمحبة وجدني بالوصلة، ومن طلبني بالاشتياق وجدني باللقاء والرؤية.

وقال بعضهم: من كان لله، كان الله له، أي: من كان في أمر الله، كان الله في أمره، ومن كان في ذكر الله، كان الله في ذكره، ومن كان في حبِّ الله، كان

الله في حبه، ومن كان في مرضات الله، يكن الله في مرضاته؛ قال تعالى: ﴿وَمَن يَعۡتَصِم بِٱللَّهِ فَقَدۡ هُدِيَ إِلَىٰ صِرَٰطٖ مُّسۡتَقِيمٖ ١٠١﴾[1]، وقال أكمل الرُّسل ﷺ: «مَنْ أَحَبَّ لِقَاءَ اللَّهِ أَحَبَّ اللَّهُ لِقَاءَهُ، وَمَنْ كَرِهَ لِقَاءَ اللَّهِ كَرِهَ اللَّهُ لِقَاءَهُ»، متفق عليه[2].

ومن حكم العارفين: من ابتلى بمعاملة العبيد، فليلبس لهم لباسًا من حديد، ومن رضي من الدنيا باليسير، فقد استراح من شغل كثير، ومن أصبح على الدنيا حريصًا، أصبح من الله بعيدًا، ومن هتك ستر التقوى، لم تستره السماوات العلى،

---

١ سورة آل عمران.

٢ صحيح البخاري: كتاب الرقاق ــ باب من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، رقم: ٦٥٠٧، وصحيح مسلم: كتاب كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار ــ باب باب من أحب لقاء الله أحب الله لقاءه، ومن كره لقاء الله كره الله لقاءه، رقم: ٢٦٨٣.

ومن نظر في عواقب الأمور، سلم من نوائب الدهور، ومن لم يقنع بالقليل، وقع في غم طويل، ومن سل سيف التقى، ضرب به عنق الردى، ومن كان مسرورًا، لم يزل مغرورًا، ومن لم يحفظ لسانه، فسد عليه شأنه، ومن لم يعرف موضع ضره، لم يعرف موضع نفعه، ومن أعرض عن صحبة الفجار، عوضه الله صحبة الأبرار، ومن أخذ عزًا بغير حقٍّ، أورثه الله ذلاً بحق، ومن ضيع أيام حرثه، ندم أيام حصاده، ومن توكل على غير الله، يعذبه الله به، ومن رضي بالله وكيلا، صار له بكلِّ خير دليلا، ووجد إلى كلِّ خير سبيلا، ومن عرف حلاوة النجوى، لا يجد مرارة البلوى، ﴿ وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ

أَعۡمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ أَعۡمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلٗا ﴿٧٢﴾ ﴾[1]. ﴿رَبَّنَآ ءَاتِنَا فِي ٱلدُّنۡيَا حَسَنَةٗ وَفِي ٱلۡأٓخِرَةِ حَسَنَةٗ وَقِنَا عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿٢٠١﴾ ﴾، اللّهُمَّ؛ أكرمنا بحسنة الدنيا معك، وحسنة الآخرة معك.

"أي سادة"، قالو: الحسنة المطلوبة في الدنيا، يدخل فيها كل ما يحسن وقعه عند العبد، من رزق هنيء واسع حلال، وزوجة صالحة، وولد تقر به العين، وراحةٌ في نفسه وقلبه، العلم النافع، وعملٌ صالح، ونحو ذلك من المطالب المحبوبة والمباحة.

وحسنة الآخرة، وهي: السلامة من العقوبات في القبر، والموقف يوم القيامة، والنار - أعاذنا الله منها، وحصول رضاه الله، والفوز بالنعيم المقيم،

---

١ سورة الإسراء

والقرب من الرَّبِّ الرَّحيم؛ فصار هذا الدعاء أجمعَ دعاءٍ وأكمَلَه، وأولاه بالإيثار، ولهذا كان النَّبيُّ ﷺ، يُكثر من الدعاء به، ويحثُّ عليه.

وقيل ثلاث كلمات كان الأخيار من المتقدمين، يوصي بعضهم بعضًا في كتبهم بهنَّ؛ من عمل لآخرته كفاه الله أمر دنياه، ومن أصلح سريرته أصلح الله علانيته، ومن أصلح ما بينه وبين الله أصلح الله ما بينه وبين الناس.

قال قائلهم:ـ

إذا السر والإعلان في المؤمن استوى

رأى العز في الدارين واستوجب الثنا

وإن خالف الإعلان سرًا فما له

على فعله فضل سوى الكد والعنا

وأقول: العارف بالله؛ من عرف الله بالله، وعرف له تعالى، الفردانية والقدرة والبقاء، وعرف نفسه بالعجز والحيرة والفناء، العارف؛ صاحب ثقافة وآداب وأحوال بالله، متمثل بدين الله الكامل الصالح، وبسُنَّة النَّبيِّ الكريم ﷺ، التي بلغت أربعة آلاف سُنَّة ونيف، وبشمائل النَّبيِّ الشفيع، وصفته العليا، فهو: صاحب دلالة كبرى، وتأييد من الله ـ عزَّ وجلَّ، في أثر الهدى لهذه الأمة المرحومة ـ لعامتها وخاصتها، تجرد عن الحال والكرامات، لصاحب الحال ـ جلَّ جلالُهُ، واستغنى بالفتاح عن الفتح، وانشغل بالكريم عن

الكرامة، فهو: صاحب استقامة مع الله تعالى، في حركاته وأنفاسه، يرجو الله الرضا له وللأحبة والأمة، وهو صاحب طاعة، وقلب محمدي في الرَّحمة والشفقة للأمة، خادمٌ متوجهٌ في ليله ونهاره بذات رحمته تعالى لهذه الأمة المرحومة ـ بتوفيق الله عليها في الدنيا والآخرة، اللّهُمَّ؛ ارحمنا بأمة الإسلام، وارحم أمة الإسلام بنا ـ يا لطيف يا واسع يا عليم، يا الله ـ تبارك وتعالى ربنا وتقدس، آمينَ آمينَ آمين، والحمد لله ربِّ العالمين.

قال الإمام الغزالي، في رسالة المعرفة: يجب على كلِّ إنسان أن يعرف نفسه، لأنه متى لم يعرف نفسه فلا سبيل إلى أن يعرف الله تعالى، لأن معرفة

النَّفس هي مفتاح معرفة الله تعالى[1]، فمن عرَّفه الله ـ عزَّ وجلَّ، بنفسه، ازداد معرفةً بربه، فقال: ﴿أَتُحَـٰٓجُّوٓنِّي فِي ٱللَّهِ وَقَدۡ هَدَىٰنِۚ ٨٠﴾[2]، فقد قيل: من عرف نفسه بالجهل فقد عرف ربه بالعلم، ومن عرف نفسه بالفناء فقد عرف ربه بالبقاء، ومن عرف نفسه بالعجز والضعف فقد عرف ربه بالقدرة والقوة، وهو مستفاد من قوله تعالى: ﴿وَمَن يَرۡغَبُ عَن مِّلَّةِ إِبۡرَٰهِـۧمَ إِلَّا مَن سَفِهَ نَفۡسَهُۥۚ ١٣٠﴾[3]، أي: جهلها حيث لم يعرف ربها؛ سُئل رسول الله ﷺ من أعرف الناس بربه؟، قال: «أعرفهم بنفسه»،

---

١ رسالة في المعرفة: للإمام أبي حامد محمّد الغزالي، (ت ٥٠٥هـ)، (ص١٣).

٢ سورة الأنعام.

٣ سورة البقرة.

فعليك بالله تعالى، وتمسك بذيل نبيك ـ عليه الصَّلاة والسَّلام، فهو الباب الأعظم والأقرب إلى الله تعالى، واجعل الشرع الشريف نصب عينيك، وجادة الإجماع ظاهرة لك، لا تفارق الجماعة، تلك الفرقة الناجية؛ واعتصم بالله، واترك ما دونه، وقل في سرك:ـ

فليتك تحلو والحياة مريرة وليتك ترضى والأنام غضاب
وليت الذي بيني وبينك عامر وبيني وبين العالمين خراب
إذا صح منك الود فالكل هين وكل الذي فوق التراب تراب

قيل لأبي سعيد البلخي: لم كان كلام السلف أنفع من كلام الخلف؟، قال: "لأن مرادهم كان عز الإسلام، ونجاة النفوس، والشفقة على الإخوان، ورضا الرحمن"، ومرادنا عز النفس، وثناء الناس، وطلب التنعم في الدنيا، فالعبد إذا أطاع ربه، رزقه

نهلاً، أي: (سقاه شربة) من عين المعرفة، وأنطق بها لسانه، وإذا ترك طاعته لم يسلبها، ولكن أبقاها في قلبه، ولم ينطق بها لسانه، ليكون ذلك حسرة عليه، وابتلاه بأنواع المحن، وما من مؤمنين يلتقيان فيذكران الله إلا ويزيد الله تعالى في قلوبهما نور المعرفة، قبل أن يتفرقا، إن الله تعالى، أطلع أهل المعرفة على تلاطم أمواج بحار خواطر القلوب، وأشرفهم على خزائن الأسرار، وبواطن العلوم التي لا يحصى عددها، ولا ينقطع مددها، ولا يُدرك قعرها، ولا يُفنى عجائبها، حتى يغوص بنور المعرفة في قعر بواطن إشاراتها المكنونة في معانيها المخزونة، فيستخرجوا عجائب فوائد، ولطائف زوائد، وحقائق إشارات، يحترق منها قلوب المحبين،

ويستأنس بها أرواح المريدين، وهي: نور من أنوار الهداية، يهدي به العبد إلى طريق حسن الرعاية، إذا أدركه من الحقِّ التوفيق والعناية.

قالوا: لا يزال العبد يركب بسره مركب المعرفة، حتى يتصل بالمعروف، فإذا اتصل بالمعروف بقى معه إلى الأبد، من غير أن يلتفت منه إلى ما سواه.

واعلم أن مثل القلب كالقصر، والمعرفة فيه كالسلطان، والعقل أمير على الأركان، له تبع أعوانه، واللسان كالترجمان، السر من خزائن الرّحمن، ولا بُدَّ لكل واحد منهما من الاستقامة في مواضعه، ودوران كلها على استقامة السر مع

الحق، فإذا استقام السر استقامت المعرفة، فيستقيم العقل، فإذا استقام العقل استقام القلب، وإذا استقام القلب استقامت النَّفس، وإذا استقامت النَّفس استقامت الأحوال، السر منور بنور الجمال والجلال، والعقل منور بنور اليقظة والاعتبار، والقلب منور بنور الخشية والأفكار، والنَّفس منورة بنور الرياضة والانزجار، فالسر بحر من بحور العطايا، وأمواج الهمة فيه لا يحصى عددها، ولا ينقطع مددها، وإنَّ استقامة السر مع الحقِّ، هي الدوام على بساط المشاهدة، مع فقد رؤية الاستقامة، واعلم أن صراط الاستقامة في السر أدق من صراط الآخرة، والمرور على جسرها،

أصعب من المرور على جسر الآخرة، وإن عالم الأسرار غيور، لا يحب أن يكون في قلب العبد حبٌ أو ذكر لغيره؛ قال الله تعالى في بعض كتبه: ((إذا كان الغالب على عبدي الاشتغال بي؛ جعلت لذاته وهمته في محبتي، ورفعت الحجاب فيما بيني وبينه)). ودخل رجل على سري السقطي ـ رضي الله عنه، فقال له: أي شيء أقرب إلى الله، يتقرب به العبد إلى الله؟، فبكى السري، فقال: أمثلك يسأل عن هذا؟، إن أفضل ما يتقرب به العبد إلى الله سبحانه، أنْ يطلع الله على قلبك وأنت لا تريد من الدارين غيره.

ـ قال الإمام عبد الرحمن بن الجوزي، في "صيد الخاطر": ليس في الدنيا ولا في الآخرة أطيب عَيْشًا من العارفين بالله ـ ﷻ. فإن العارف به مستأنس به في خلوته، فإن عمت نعمة، علم من أهداها، وإن مَرَّ مُرٌّ حلا مذاقة في فيه، لمعرفته بالمبتلي، وإن سأل فتعوق مقصوده، صار مراده ما جرى به القدر، علا منه بالمصلحة، بعد يقينه بالحكمة، وثقته بحسن التدبير. وصفة العارف: أن قلبه مراقب لمعروفه، قائم بين يديه، ناظر بعين اليقين إليه، فقد سرى من بركة معرفته إلى الجوارح ما هذبها.

فإن نطقت فلم أنطق بغيركم ...وإن سكت فأنتم عقد إضماري[1]

قال الإمام عبد القادر الجيلاني في"الفتح الرباني": يا قوم: اعرفوا الله ولا تجهلوه، وأطيعوا الله ولا تعصوه، ووافقوه ولا تخالفوه، وارضوا بقضائه ولا تنازعوه، واعرفوا الحقّ ﷻ، بصنعته، هو الخالق الرزاق، الأول والآخر والظاهر والباطن، هو القديم الأول، الدائم الأبدي، الفعال لما يريد، قال تعالى: ﴿لَا يُسۡـَٔلُ عَمَّا يَفۡعَلُ وَهُمۡ يُسۡـَٔلُونَ ٢٣﴾[2]. لعظمته وعزته، وكمال قدرته، والمخلوقون كلهم ﴿يُسۡـَٔلُونَ﴾ لعجزهم وفقرهم.

---

١ صيد الخاطر: لأبي الفرج جمال الدين عبد الرحمن بن علي بن محمد الجوزي (ت ٥٩٧هـ): (١٥٣).

٢ سورة الأنبياء.

قال جدنا علي المرتضى ـ عليه الرضوان والسَّلام: العارف إذا خرج من الدنيا لم يجده السابق، ولا الشهيد في القيامة، ولا رضوان في الجنة، ولا مالك في النار، قيل: وأين يوجد؟، قال: ﴿فِي مَقْعَدِ صِدْقٍ عِندَ مَلِيكٍ مُّقْتَدِرٍ ۝٥٥﴾، إذا قام من قبره، لا يقول: أين أهلي وولدي، ولا أين جبريل وميكائيل والجنة والثواب؛ ولكن يقول: أين حبيبي وأنيسي.

قال قائلهم:ـ

قلوب العارفين لها عيون ... ترى مالا يراه الناظرون

وألسنة بسر قد تناجي ... تدق عن الكرام الكاتبينا

وأجنحة تطير بغير ريش ... فتأوى عند ربِّ العالمين

فترعى في رياض القدس طورًا... وتشرب من بحار المرسلين

عباد قاصدون إليه حتى ... دنو منه وصاروا واصلينا

قال الشيخ منصور البطائحي: كفاك من المعرفة أن تعلم؛ أن الله مطلع عليك، وكفاك من العبادة أن تعلم أن الله مستغن عنك، وكفاك من المحبة أن تعلم أن حبه سابق على حبك، وكفاك من الذكر أن تعلم أن ذكره متقدم على ذكرك، فالقلوب إذا قعدت على بساط الهيبة زالت عنها الشهوات، وإذا قعدت على بساط المعرفة زالت عنها الغفلات، وإذا قعدت على صدق الفردانية بالفرد للفرد فذلك المقعد الصدق.

"أي سادة": من صفات العارف بالله؛ كثير الذكر ومع أنفاسه، قالوا: إن الله تعالى أعلى درجة الذكر، وعَظَّم رتبته، ورفع شأنه، وشرفه وفضله، ثم قسمه على اللسان والأركان والجنان، فينبغي أن

يكون الذاكر على حذر أن يلتفت إلى الذكر، ويكون شريف الهمة والإرادة، لطيف الفطنة في الإشارة، صحيح النية والإرادة، لا يُريد بذكره غيره، ولا يلتمس منه فراغه عنه إلى ما دونه، لأن الوصول إلى الكل تحت الرضا به عن غيره، والحرمان من الكل تحت الاشتغال بغيره، وهو يجب على الذاكر أن يذكره على غاية من التعظيم والحرمة، لا على العادة والغفلة، فيصير بذلك محجوبًا عن المذكور، عقوبة لترك التعظيم والحرمة، "لأن حفظ الحرمة في الذكر، خير من الذكر"، وما من عبد ذكره على التحقيق، إلا نسي في جنب ذكره ما سواه، وكان الله له عوضًا من كلِّ شيء، وربما يريد العارف أن يذكره، فيهيج في سره أمواج

التعظيم والهيبة، فيكل لسانه ويطير فؤاده من إجلال الوحدانية، ثم يبدو له شعاع الشوق والمحبة من حجب القلب والألفة، فتنتهي همته إلى سرادقات الألوهية، وميادين الربوبية بإذن الله، فحينئذ يكشف له عما ستر عن غيره من عجائب غيبه، ولطائف صنعه، وكمال قدرته، وأنوار قدسه؛ فعند ذلك يعرف العبد أن الله تعالى يفعل ما يشاء، بمن يشاء لمن يشاء متى يشاء كيف شاء، بيده المن والعطاء والإرادة، لا رادّ لفضله، ولا معقب لحكمه، فيشغل به، ويصير فانيًا تحت بقائه، وهذا معنى ما روي في بعض الأخبار؛ أن الله تعالى قال في بعض الكتب: ((من يذكرني ولا ينساني حركت قلبه لمحبتي، حتى إذا تكلم تكلم لي، وإذا سكت سكت

لي)). قال الله تعالى: ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ٢٨﴾[1]، قال يحيى بن معاذ: الذكر أكبر من الجنة؛ لأن الذكر نصيب الله، والجنة مصير العبد، وفي الذكر رضاء الله، وفي الجنة رضاء العبيد، وعن جدنا علي بن أبي طالب ـ عليه الرضوان والسَّلام، قال: إن الله تعالى يتجلى للذاكرين عند الذكر وتلاوة القرآن، ولا يرونه لأنه أعز من أن يرى، وأظهر من أن يخفى، فتفردوا بالله سبحانه، واستأنسوا بذكره، وما نزلت بأحد نازلة إلا وفي كتاب الله لها دليل من الهدى والبيان.

قال أبو عبد الله النساج: إن لله تعالى في الدنيا جنة، من دخلها كان آمنًا، طوبى لهم وحسن مآب،

---

١ سورة الرعد.

قيل: ما هي، قال: الأنس بذكره، قال الله تعالى في بعض كتبه: ((أوليائي وأحبابي تنعموا بذكري، واستأنسوا بي، فإني نعم الرب لكم في الدنيا والآخرة)).

وقال سيدنا علي المرتضى ـ رضي الله عنه، وكرم الله وجهه: ذكر الله طعام الروح، والثناء عليه شراب الروح، والحيله منه لباس الروح، وما تلذذ المتلذذون بمثل ذكره، وما تنعم المتنعمون بمثل أنسه. قلت:ـ

جنات ذكرك في الفؤاد معالم ومعاني حبك للجنان حنان
ووداد حبك للجنان محاسن تبقى وحبك للنعيم جنان

وقال آخر:ـ

للناس عيدان معدودان في سنة وللمريد جميع العصر أعياد
فالذكر عادته والحمد راحته والقلب في ملكوت الرب أواد

وكان الإمام أحمد بن حنبل ـ رحمه الله تعالى، ينشد هذين البيتين:ـ

إذا ما خلوت الدهر يومًا فلا تقل

خلوت ولكن قل عليَّ رقيب

ولا تحسبن الله يغفل ساعة

ولا أنَّ ما تخفي عليه يغيب

وقال الإمام الشافعي ﷺ:ـ

قلبـي برحمتـك اللّهـم ذو انـس في السرّ والجهر والإصباح والغلس

وما تقلبت من نومي وفي سنتي إلا وذكـرك بـين الـنفس والـنفس

وقال الإمام الجنيد بن محمد ﷺ :-

ذكرتك لا أني نسيتك لمحة وأيسرها ما في الذكر ذكر لساني

قال الإمام عبد القادر الجّيلاني ﷺ: إذا دام القلب على ذكر الحق ﷻ جاءت إليه المعرفة والعلم والتوحيد والتوكل والإعراض عما سواه في الجملة، دوام الذكر سببٌ لدوام الخير في الدنيا والآخرة، إذا صح القلب صار الذكر دائماً فيه

يُكتب في جوانبه وعلى جملته فتنام عيناه وقلبه ذاكر لربه ﷻ يرث ذلك عن نبيه ﷺ، القائل: «إِنَّ عَيْنَيَّ تَنَامَانِ وَلا يَنَامُ قَلْبِي»[1].

وقال ﷺ: الذاكر لله ﷻ أبدًا حي ينتقل من حياة إلى حياة فلا موت له سوى لحظة؛ إذا تمكن الذكر بالقلب دام ذكر العبد لله ﷻ وإن لم يذكره بلسانه، كلما دام العبد لذكر الله ﷻ دامت موافقته له ورضاه بأفعاله[2].

---

١ ((صحيح البخاري)): كتاب التهجد ــ باب قيام النبي ﷺ، بالليل في رمضان وغيره، رقم: ١١٤٧، وفي كتاب صلاة التراويح ــ باب فضل من قام رمضان، رقم: ٢٠١٣، وفي كتاب المناقب ــ باب كان النبي ﷺ تنام عيناه ولا ينام قلبه، رقم: ٣٥٦٩، ((صحيح مسلم)): كتاب صلاة المسافرين وقصرها ــ باب صلاة الليل وعدد ركعات النبي ﷺ، في الليل وأن الوتر ركعة وأن الركعة صلاة صحيحة، رقم: ١٧٢٠.

(٢) ((الفتح الرباني)) للإمام الشيخ عبد القادر الكَيلاني ــ قدس الله سره: (ت٥٦١هـ)، (ص٢٠٦).

وقال الإمام أحمد الرفاعي ﷺ: قال أهل اللّٰه ﷺ: من ذكر اللّٰه فهو على نورٍ من ربه، وعلى طمأنينة من قلبه، وعلى سلامةٍ من عدوه. وقالوا: ذكر اللّٰه طعامُ الروح، والثناءُ عليه تعالى شرابُها. والحياء منه لباسُها. وقالوا: ما تنَعم المتنعمون بمثل أنسه، ولا تلذذ المتلذذون بمثل ذكره. وجاء في بعض الكتب الإِلهية أن الله تعالى قال: (من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي. ومن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ. ومن ذكرني من حيث هو ذكرته من حيث أنا. ومن ذكرني من حيث هو أعطيته من حيث أنا)، القوم شغلهم ذكره ومقصدهم هو. يرون أن الحوادث الكونية تقوم بقضائه وقدره. فلا يعارضونها لا بقلب ولا بلسان ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ

إِذَا مَسَّهُمْ طَٰٓئِفٌ مِّنَ ٱلشَّيْطَٰنِ تَذَكَّرُوا۟ فَإِذَا هُم مُّبْصِرُونَ ﴿٢٠١﴾ [1] قال ابن عباس رضي الله عنه: ((ما من مؤمن إلا وعلى قلبه شيطان، إذا ذكر الله خنس، وإذا نسي الله وسوس)) [2].

وقال رضي الله عنه: لله ملائكة جرد مرد تحت العرش يرقصون ويذكرونه تعالى ويهتزون لذكره. هذه أرواح رقصت بالله لله. وأنت يا مسكين ترقص

---

(١) سورة الأعراف.

٢ ((أضواء البيان)): لمحمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي: (ت١٣٩٣هـ)، (٩/١٨٠)، وذكر ابن كثير في "تفسيره": (٤/٥٦٧)، عن ابن عباس ومجاهد: (أن الشيطان جاثم على قلب ابن آدم فإذا سها وغفل وسوس وإذا ذكر الله خنس)، وقال رسول الله ﷺ: ((إنَّ الشيطانَ واضعٌ خَطْمَهُ [أي فَمَهُ] على قلبِ ابنِ آدمَ، فَإنْ ذَكَرَ اللهَ خَنَسَ، وإن نَسِيَ الْتَقَمَ قَلْبَهُ فذلك الوسواس الخناس))، انظر ((مسند أبي يعلى)): (٧/٢٧٨)، قال المنذري في ((الترغيب والترهيب))، (٢/٤٠٠): رواه ابن أبي الدنيا وأبو يعلى والبيهقي.

بنفسك لنفسك. أولئك الذاكرون، وأنت المغبون المفتون. سمى القوم الهز بالذكر رقصًا إذا كان وارد الهزة من الروح، فنسبوا الرقص للروح لا للجسم، وإلا فأين الراقصون؟ وأين الذاكرون؟ طلب هؤلاء حق. وطلب هؤلاء ضلال.

سارت مشرقة وسرت مغربا   شتان بين مشرق ومغرب [1].

وقال الإمام الغزّالي ـ رحمه الله تعالى ـ في كتابه المسمى بـ "الأربعين في أصول الدين": واعلم: أنه قد انكشف لأرباب البصائر: أنَّ الذكر أفضل الأعمال. ولكن له أيضاً قشور ثلاثة، بعضها أقرب إلى اللب من بعض، وله لب وراء القشور الثلاثة. وإنما فضّل القشور لكونها طريقاً

---

(١) ((البرهان المؤيد)): للإمام الرباني السيد أحمد الرفـاعي ـ قـدس الله سره: (ت٥٧٨هـ)، (ص٤٧ و ٥٧).

إليه. فالقشر الأعلى منه، ذكر اللسان فقط، والثاني: القلب إذا كان القلب يحتاج إلى موافقته حتى يحضر مع الذكر، ولو ترك وطبعه لاسترسل في أودية الأفكار. والثالث: أن يستمكن الذكر من القلب ويستولي عليه، بحيث يحتاج إلى تكلف في صرفه عنه إلى غيره. كما احتيج في الثاني إلى تكلف في قرارِه معه ودوامه عليه. والرابع ـ وهو اللُّباب ـ أن يستمكن المذكور من القلب، وينمحي الذكر ويخفى، وهو اللُّباب المطلوب. وذلك بأن لا يلتفت إلى الذكر ولا إلى القلب. بل يستغرق المذكور جملته[1].

---

(١) ((كتاب الأربعين في أصول الدين)): للإمام الغزالي: (ت٥٠٥هـ)، (ص٤٢).

ـ روى الإمام القشيري في "التحبير": أن أبا الحسين النوري بقى سبعة أيام قائماً لم يأكل ولم يشرب ولم ينم، وهو يقول: الله الله. فأُخبر الجنيد بذلك، فقال: انظروا أمحفوظةٌ عليه أوقاته أم لا؟، فقيل له: إنه يصلي الفرائض. فقال: الحمد لله الذي لم يجعل للشيطان سبيلا، ثم قال: قوموا نَزره فإما نستفيد منه أو نفيده، فدخل عليه فقال: يا أبا الحسن، ما الذي دهاك؟.

فقال: أقول: الله الله ... زيدوا عليَّ.

فقال الجنيد: انظر هل قولك الله بالله أم بقولك أنت؟ فإن كان بالله فلست القائل له، وإن كان

قولك لنفسك فأنت مع نفسك؛ فما معنى الوله والحيرة؟ فقال: نِعْمَ المؤدب أنت، وسَكنَ ولهُهُ[1].

"أي سادة": إن للذكر منازلَ إلى تحقيقه في مقام المعرفة الإلهية؛ فالحضور بالفكر، هي المراقبة، والمراقبة: من مقامات الأوليه ـ رضي الله عنهم، وذكر الله في القلب، هو: عبادة أولياء الله تعالى؛ والجمع بينهما، أي: الحضور والذكر معًا في الأوقات كلها ـ من مقامات العارفين بالله تعالى، وإذا تحقق ذلك فهو سيرٌ إلى الله ﷻ، في منازل الصديقية، والصديقية، هي: المعرفة بالله، وعظيم العبادة لله ـ تبارك وتعالى.

---

١ التحبير في التذكير، شرح أسماء الله الحسنى، للإمام زين الدين أبي القاسم عبد الكريم بن هوازن النيسابوري القشيري، (ت٤٦٥هـ).

ـ قال الحافظ أبو نُعيم في "الحُلية": حدثنا أبو الحسن علي بن هارون قال: سمعت أبا القاسم الجنيد بن محمد يقول، وسأله جعفر: ما تقول أكرمك الله في الذكر الخفي ما هو الذي لا تعلمه الحفظة؟، ومن أين زاد عمل السر على عمل العلانية سبعين ضعفا؟ فأجابه، فقال: وفقنا الله وإياكم لأرشد الأمور وأقربها إليه، واستعملنا وإياكم بأرضى الأمور وأحبها إليه، وختم لنا ولكم بخير. فأما الذكر الذي يستأثر الله بعلمه دون غيره فهو ما اعتقدته القلوب وطويت عليه الضمائر مما لا تحرك به الألسنة والجوارح، وهو مثل الهيبة لله والتعظيم لله والاجلال لله، واعتقاد الخوف من الله، وذلك كله فيما بين العبد وربه، لا

يعلمه إلا من يعلم الغيب. والدليل على ذلك قوله ﷻ: ﴿يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ وَمَا يُعْلِنُونَ ۝٦٩﴾[1]، وأشباه ذلك وهذه أشياء امتدح الله بها فهي له وحده ـ جلَّ ثناؤه. وأما ما تعلمه الحفظة فما وكلت به وهو قوله: ﴿مَا يَلْفِظُ مِن قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ ۝١٨﴾[2]، وقوله: ﴿كِرَامًا كَاتِبِينَ ۝١١ يَعْلَمُونَ مَا تَفْعَلُونَ ۝١٢﴾[3]، فهذا الذي وكل به الملائكة الحافظون؛ ما لفظ به وبدا من لسانه. وما يعلنون ويفعلون هو ما ظهر به السعي، وما أضمرته القلوب، مما لم يظهر على الجوارح، وما تعتقده القلوب فذلك يعلمه ـ جلَّ ثناؤه، وكل أعمال

---

١ سورة القصص.

(٢) سورة ق.

(٣) سورة الانفطار.

القلوب ما عقد لا يجاوز الضمير فهو مثل ذلك والله أعلم. وما روي في الخبر من فضل عمل السر على عمل العلانية، وأن عمل السر يزيد على عمل العلانية سبعين ضعفا، فذلك والله أعلم لأن من عمل لله عملاً فأسره فقد أحب أن ينفرد الله ﷻ بعلم ذلك العمل منه، ومعناه: أن الله يستغني بعلم الله في عمله عن علم غيره، وإذا استغنى القلب بعلم الله أخلص العمل فيه ولم يعرج على من دونه، فإذا علم ـ جلَّ ذكره ـ بصدق قصد العبد إليه وحده وسقط عن ذكر من دونه؛ أثبت ذلك العمل في أعمال الخالصين الصالحين المؤثرين الله على من سواه، وجازاه الله بعلمه

بصدقه من الثواب سبعين ضعفا على ما عمل من لا يحل محله، والله أعلم[1].

قال ـ جلَّ ذكره: ﴿ وَلَذِكْرُ ٱللَّهِ أَكْبَرُ ﴾[2]، أي: ذكر الله أكبر من كل شيء. فتأملوا.

سُئل يحيى بن معاذ الرازي: ما علامة القلب الصحيح؟، قال: الذي هو من هموم الدنيا مستريح، قيل: وما القوت؟؛ قال ذكر حي لا يموت، قيل: وما الشوق؟، قال؛ ملاحظة ما فوق، قيل: متى يتم أمر العبد؟، قال؛ إذا سكن مع الله بلا هم، قيل: وما علامة المريد؟، قال؛ أن لا يشتغل بالعبيد، قيل: وما رأس الهدى؟، قال؛ صدق التقى، قيل: وما اللذة؟، قال؛ الموافقة، قيل: ومن الغريب؟، قال؛ الذي ليس

---

١ ((حليه الأولياء)): (١٠/٢٦٤ ــ ٢٦٥).

٢ سورة العنكبوت.

له من حبه نصيب، قيل: ومتى يبلغ العبد إلى ولاية مولاه؟، قال؛ إذا عزل عن قلبه كل من سواه، قيل: وما الراحة الكبرى؟، قال؛ التسليم للمولى، قيل: وما أفضل الأعمال؟، قال؛ ذكر الله على كل حال، قيل: وما الفاقة العظمى؟، قال؛ دوام الأنس بالمولى، قيل: وما حجاب القلوب؟، قال؛ الإستكفاء بالمربوب، قيل: وما العيش الجميل؟، قال؛ العيش مع الجليل، قيل: وما حقيقة الوفاء؟، قال؛ الصدق والصفاء، قيل: ومن المحبون؟، قال؛ العارفون، قيل: ومن العزيز؟، قال؛ من تعزز بالعزيز، قيل: ومن الشريف؟، قال؛ من آنس باللطيف، قيل: ومن الغمر؟[1]، قال؛ من ضيع العمر، قيل: وما الدنيا؟، قال؛ ما شغلك عن المولى.نعم معدن المعرفة القلب؛

---

[1] الغمر: الحقد الغلُّ، وبذلك ضياع العمر.

لقوله تعالى: ﴿فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ٣٢﴾[1]، ومعدن المشاهدة الفؤاد؛ لقوله تعالى: ﴿مَا كَذَبَ ٱلْفُؤَادُ مَا رَأَىٰٓ ١١﴾[2]، ومعدن النور: الصدر؛ لقوله تعالى: ﴿أَفَمَن شَرَحَ ٱللَّهُ صَدْرَهُۥ لِلْإِسْلَٰمِ فَهُوَ عَلَىٰ نُورٍ مِّن رَّبِّهِۦ ٢٢﴾[3]، وما ازداد حبًا لله تعالى، إلا ازداد حبًا لرسوله ﷺ، ولأوليائه[4].

حكي عن أبي سعيد الخراز، أنه قال: رأيت بعضهم فقلت: ما غاية هذا الأمر؟ قال: الله، قلت: ما معنى قولك: الله؟ قال: تقول: اللّهُمَّ دلني بك عليك،

---

١ سورة الحج

٢ سورة النجم

٣ سورة الزمر

٤ حالة أهل الحقيقة مع الله، ص ٨٤ ــ ٨٥.

وثبتني عند وجودك، ولا تجعلني ممن يرضى بجميع ما هو دونك عوضًا منك، وأقر فؤادي عند لقائك[1].

"أي إخوتي": الطاعة والأدب، ما أعظم هذا!، والمحبَّة والمعرفة والخدمة؛ منهج العارفين بالله ـ إلى معارج القرب والرضوان ـ من الله الملك الديَّان ـ جلَّ جلالُهُ، وعمَّ فضلُهُ ونوالُهُ.

قيل لبعض أهل المعرفة: عبدٌ فقد قلبه متى يجده، قال: إذا نزل فيه الحقُّ، قال: متى ينزل، قال: إذا ارتحل عنه ما دون الحق، ومعاملة القلوب على عشر مدارج، أولها: الخاطرات، ثم حديث النَّفس، ثم الهم، ثم الفكر، ثم الإرادة، ثم الرضى، ثم الاختيار، ثم النية، ثم العزيمة، ثم القصد، حتى يبلغ إلى عمل الظاهر؛ فمن قام لله تعالى فحفظ معاملة القلب عند

---

١ التحبير في التذكير، في ذكر إسم "الله ــ جلَّ جلالُهُ".

الخاطرات؛ فهو على مدارج الصديقية، ومن قام لله تعالى فحفظ معاملة القلب عند حديث النَّفس؛ فهو على مدارج المقربين، ومن قام لله فحفظ معاملة القلب عند الهم؛ فهو على مدارج الأوابين، ومن قام لله فحفظ معاملة القلب عند الفكرة؛ فهو على مدارج المخلصين، ومن قام لله فحفظ معاملة القلب عند الإرادة؛ فهو على مدارج المريدين، ومن قام لله فحفظ معاملة القلب عند الاختيار؛ فهو على مدارج المتقين، ومن قام لله فحفظ معاملة القلب عند النيَّة؛ فهو على مدارج الزاهدين، ومن قام لله فحفظ معاملة القلب عند القصد؛ فهو على مدارج المجتهدين، ومن قام لله تعالى فحفظ معاملة القلب على عمل الظاهر؛ فهو على مدارج العابدين.

قال الله تعالى في بعض الكتب: ((القلوب بيدي، والحب في خزائني، فلولا حبي لعبدي ما قدر العبد أن يحبني، ولولا ذكري له في الأزل ما قدر أن يذكرني، ولولا إرادتي إيَّاه في القدم ما قدر العبد أن يريدني)).

قال الإمام الجنيد بن محمد ـ رضي الله عنه: أربع ترفع العبد أعالي الدرجات، وإن قلَّ عمله وعلمه: الحلم، والتواضع، والسخاء، وحسن الخلق.

وقال الإمام عبد القادر الكَيلاني ﷺ: وصلت إلى الله؛ بالكرم، والتواضع، وسلامة الصدر، فقال الإمام أحمد الرفاعي ﷺ، معلقًا على ذلك: فدلَّ كلام الشيخ ﷺ: أن الكرم هو الأساس، والتواضع يتم للسالك به الغراس؛ فإذا تم له هذان الأمران

سلم صدره من العلائق، وزال عن طريقه كل عائق؛ لذلك ورد في الحديث: «إِنَّ فِي الْجَنَّةِ غُرَفًا يُرَى ظَاهِرُهَا مِنْ بَاطِنِهَا وَبَاطِنُهَا مِنْ ظَاهِرِهَا، أَعَدَّهَا اللَّهُ تعالى لِمَنْ أَطْعَمَ الطَّعَامَ، وَأَفْشَى السَّلامَ، وَصَلَّى بِاللَّيْلِ وَالنَّاسُ نِيَامٌ»، رواه البيهقي وابن حِبّان[1].

وفي روايةٍ أخرى: «هي لمن أطاب الكلام، وأطعم الطعام، وبات قائماً والناس نيام»، رواه الطبراني والحاكم[2].

---

١ ((سنن البيهقي الكبرى)): (٤/٣٠٠)، رقم: ٨٢٦٢ ، ((صحيح ابن حبان)): (٢/٢٦٢). ينظر: ((البرهان المؤيد)):- (ص٢١٢).

٢ الحديث: عن عبد الله بن عمرو ﷺ عن رسول الله ﷺ قال: «إن في الجنة غرفاً يرى ظاهرها من باطنها وباطنها من ظاهرها» فقال أبو مالك الأشعري: لمن هي يا رسول الله؟ قال: «هي لمن أطاب الكلام، وأطعم الطعام، وبات قائماً والناس نيام» قال المنذري في ((الترغيب والترهيب))، (٤/٢٨٥): رواه الطبراني والحاكم وقال: صحيح على =

قال ذو النون المصري: المعرفة أولها التحيُّر، ثم الاتصال، ثم الافتقار، ثم المحبَّة. وفي معناه أنشدوا:ـ

حب من أهواه أدهشني ... لا خلوت الدهر من ذاك الدهش

وقد حكي عن بعضهم: أنه قد باع جارية له فندم على بيعها فاستحيى من الناس أن يظهر حالته، فكتب حاجته على كفه ورفعها إلى السماء، فلما أصبح قُرِع عليه الباب، فقال: من أنت؟ فقال: مشتري الجارية مع الجارية، فقال: اصبر حتى آتيك بالثمن، فقال: لست أريد الثمن، فإني أخذت خيرًا من ذلك، إني رأيت في المنام ربّ العزَّة، يقول لي: إن البائع وليٌّ من أوليائنا، وقلبه معلقٌ

= شرطهما ورواه أحمد وابن حبان في صحيحه من حديث أبي مالك الأشعري إلا أنه قال: «أعدها الله لمن أطعم الطعام، وأفشى السلام، وصلى بالليل والناس نيام».

بها، فإن رددتها إليه بلا ثمن أدخلناك الجنَّة بلا عمل، فأنا آثرت الثواب على الثمن.

اللّهُمَّ؛ أنت الذي أنعمت، أنت الذي هديت، أنت الذي أكرمت، فزدنا ولا تنقصنا، اختم حياتنا عليك، وأمتنا على كمال الحبِّ والإيمان، يا الله، آمين.

قيل لأبي بكر الواسطي: هل تشتهي طعامًا، قال: نعم، قيل: أي شيء، قال: لقمة من ذكر الله، بصفاء اليقين، على مائدة المعرفة، بأنامل حسن الظن بالله، من جفنة الرضا عن الله سبحانه، وروي أن الله تعالى قال للخليل ـ عليه الصَّلاة والسَّلام: ((أتدري لما أتخذتك خليلا، قال: لا، قال: لأنك لا تُغفل قلبك عني، وعلى كل حال لا أراك تنساني)).

مولاي: لولا أنك أمرتنا بذكرك، فمن كان يجترئ أن يذكرك، إجلالاً وإعظامًا لك سبحانك،

عجبًا للذاكرين، كيف تثبت قلوبهم في أبدانهم عند ذكر عظمتك، وروي: أن الله تعالى قال لموسى ـ عليه الصَّلاة والسَّلام: ((يا موسى إني لم أقبل صلاة ولا ذكرًا إلا ممن يتواضع لعظمتي، ويلزم قلبه خوفي، ويقطع عمره بذكري، يا موسى إن مثله في الناس كمثل الفردوس في الجنان، لا يتغير طعمها، ولا ييبس ورقها، فأجعل له عند الخوف أمنًا، وعند الظلمة نورًا، وأجيبه قبل أن يدعوني، وأعطيه قبل أن يسألني؛ وورد: أن الله تعالى، قال: ((من شغله ذكري عن مسألتي، أعطيته أفضل مما أعطي سائلي)).

وقال موسى ـ عليه الصَّلاة والسَّلام، ذات يومٍ: إلهي أقريب أنت فأناجيك، أم بعيد فأناديك، فقال

الله تعالى: ((أنا جليس لمن ذكرني، وقريبٌ ممن آنس بي، أقرب إليه من حبل الوريد)).

وأوحى الله تعالى إلى داود ـ عليه الصَّلاة والسَّلام: ((يا داود بَلِّغْ أهل أرضي أني حبيبٌ لمنْ أحبني، وجليسٌ لمن جالسني، ومؤنسٌ من أنس بذكري، وصاحبٌ لمن صاحبني، ومختارٌ لمن اختارني، ومطيعٌ لمن أطاعني، ما أحبني عبدٌ أعلم ذلك يقينًا من قلبه إلا قبلته لنفسي، وأحببته حبًا لا يتقدم إليه أحد من خلقي، من طلبني بالحق وجدني، ومن طلب غيري لم يجدني، فارفضوا يا أهل الأرض ما أنتم عليه من غرورها، وهلموا إلى كرامتي ومصاحبتي ومجالستي، وائتنسوا بي؛ أُونسكم وأسارع إلى محبتكم)).

اللَّهمَّ أعنّي على ذِكْرِكَ، وَشُكْرِكَ، وحُسْنِ عِبادَتِكَ.

وفي الخبر: ((إن أول ما كتب الله ـ سبحانه وتعالى، في اللوح المحفوظ؛ لا إله إلا الله محمّدٌ رسول الله، من استسلم لقضائي، وصبر على بلائي، وشكر لنعمائي، كتبته صديقًا، وبعثته يوم القيامة مع الصديقين، ومن لم يرضَ بقضائي، ولم يصبر على بلائي، ولم يشكر نعمائي؛ فليختر ربًا سوائي)). يا لطيف يا واسع يا عليم.

قال أبو يزيد ـ رحمه الله تعالى: عجبت لأهل الجنَّة كيف يتلذذون بدونه، أم كيف يستأنسون بغيره، وعجبت ممن يسكن إلى حال دون ولي الأحوال، والعجب لمن أقبل إلى الخلق والحقُّ يقول إليَّ إليَّ.

قال أبو عبد الله بن مقاتل ـ رحمه الله تعالى: عجبت لابن آدم، اختاره الله لنفسه مع غناه عنه،

وهو يعرض عنه مع فقره إليه، وعجبت لمن يشغل نفسه بشيء وهو يعلم أنه قد فرغ منه، وعجبت ممن يأمر غيره بما لا يفعله، ويغضب على غيره بما يفعله، وممن يكره أن يعصي وهو عاصي، وممن يحب أن يطاع وهو غير مطيع لربه، وممن يلوم غيره على الظن ولا يذم نفسه على اليقين.

قال حاتم الأصم ـ رحمه الله تعالى: عجبت ممن يستحي من الخلق كيف لا يستحي من الخالق، ولمن يطلب رضاء المربوبين كيف لا يطلب رضاء الرَّبّ، ولمن يحب أهل الطاعة وهو مقبل على المعصية، ولمن يعرف جلال الله كيف يعرض عنه، ولمن يأكل رزق ربه كيف يشكر غيره، ولمن يشتري المملوك بماله كيف لا يشتري الأحرار بمعروفه وطيب كلامه.

وقال خنيس بن عبد الله ـ رحمه الله: عجبت من رجل ليله قائم، ونهاره صائم، ويجتنب المحارم، ولا تلقاه إلا باكيًا حزينًا، ورجل ليله نائم، ونهاره لاعب، ويرتكب المحارم، ولا تلقاه أبدًا إلا ضاحكًا مستبشرًا. ولا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم.

وقال يحيى بن معاذ ـ رحمه الله تعالى: عجبت ممن يتذلل للعبيد وهو يجد من سيده ما يُريد، وعجبت لمن كان قوته رغيفًا ويعصي ربًا لطيفًا، وعجبت لمن يخاف على موت نفسه ولا يخاف على موت قلبه، ولمن يخاف على فوات دنياه كيف لا يخاف على فوات دينه.

عجبت لمن يقول ذكرت ربي وهل أنسى فأذكر من نسيت
أموت إذا ذكرتك ثم أحيا ولولا ماء وصلك ما حييت
فأحيا بالمُنى وأموت شوقًا فكم أحيا عليك وكم أموت
شربت الحبَّ كأسًا بعد كأسٍ فما نفذ الشراب وما رويت

عن أبي هارون العبدي، قال: أتينا أبا سعيد الخدري ـ رضي الله تعالى عنه، فسألناه عن حديث رسول الله ﷺ، فقال: مرحبًا بوصية رسول الله ﷺ، قال: (إنه سيأتيكم بعدي أُناسٌ من الآفاق، يسألونكم عن حديثي، وعن السُّنَّة، فاستوصوا بهم خيرًا) فكان إذا رآنا، قال: مرحبًا بوصية رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم[1].

قالوا: هذا الحديث الشريف يجذب العارف بالله إلى حديث المصطفى ﷺ، وسننه، ليكون محل نظره النبوي، في بحبوحة التوصية السارية في عوالم الله تعالى، وهل لباب المعرفة بالله، إلا الأخذ بحديث رسول الله ﷺ، والعمل بسننته السنية، وهذا

---

١ رواه ابن ماجه: (١/٩١)، قال المناوي في فيض القدير، ورواه الطيالسي والديلمي وغيرهما.

القامع للنفس، وإن معرفة النفس، أحد أصول العبودية، وقلَّ من يعرفها، وعزَّ وجود من يتمنى عرفانها، وما خلق الله تعالى في الدارين سجنًا أضيق على العارف، ولا أوحش ولا أنتن من النفس، فمن عرفها على التحقيق، وخالف أمرها، فكل أرض له ثغر وطرسوس، ومن غفل عن معرفتها، فهو على خطر عظيم، ولا يسلم من شرها، فإن من لا يعرفها كيف يقوم بمخالفتها؟.

قال الله تعالى لموسى ـ عليه السلام: ﴿ فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَ إِنَّكَ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوٗى ١٢ ﴾[1]، أي: اخلع نفسك وزوجك وتعال إليَّ.

قال أحمد بن حرب ـ رحمه الله تعالى: إني لاشتهي أن أموت ولو ساعة، حتى أعرف نفسي

---

١ سورة طه.

وأخالفها، قال محمد بن الفضل: من عرف نفسه لا يتنفس نفسًا إلا بدوام جهدها، وكثرة عبادتها، ولا يغتر بصفاوة أوقاتها، وحسن أحوالها، ولطائف أنفاسها، وصدق معاملتها، لما علم من غوامض آفاتها ومكرها، وسوء طبعها، وكمال شرها، وإني تفكرت في جميع عمري، ونظرت في شأن نفسي فما رضيت في عمري من نفسي طرفة عين.

جاء في الخبر؛ أن الله تعالى، قال: يا دنيا اخدمي من خدمني، واستخدمي من خدمك، وليس من معالي الهمة الاشتغال بما في حظ النَّفس، وفي نعت النَّبيِّ ﷺ، بعلو همته الشريفة ﴿مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ۝١٧﴾[1]، ولا يصل العبد إلى الله تعالى، حتى

---

١ سورة النجم.

يقطع مفاوز الدنيا وما فيها، من زهرتها ولذاتها، وراحاتها وشهواتها، ويجاوز أودية الخلق وما منهم من جميل معاشرتهم وثنائهم ومحمدتهم، فإن الله تعالى خلق جميع ذلك ابتلاء لكل من أراد أن يصير مجردًا، حتى إذا التفت إلى شيءٍ منها صار مفتضحًا في دعواه، وغرق في أودية الحسبان والخسران، فكم مستدرجٍ بالنعم، محجوب عن الخالق، غافل عن الصدق، جاهلٍ بعرفان النفس، يصبح ويمسي على الحسبان، فيبدو له من ذي العرش ما لم يكن يحتسب؛ قال الله تعالى: ﴿وَبَدَا لَهُم مِّنَ ٱللَّهِ مَا لَمۡ يَكُونُواْ يَحۡتَسِبُونَ ۝٤٧﴾[1]، وإن من معالي الهمة، ما قيل لأبي عبد الله، لو أعطاك الله

---

١ سورة الزمر.

تعالى الدنيا بجميع ما فيها، ماذا تفعل بها؟ فقال: لو أمكنني أن أجعلها لقمة، وأضعها في فم كافر لفعلت، قيل: ولم؟، قال: لأن الله تعالى يبغض الكافر والدنيا جميعًا، فأفعل ذلك ليقع البغيض إلى البغيض. ولله در القائل:ـ

دنيا تركنا صفاها دونما أسفا فجنة الله تهدي الخر ذي العين

قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ جَٰهَدُواْ فِينَا لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَاۚ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ ٦٩﴾[1]، قالوا: والمعنى: في حقنا بالجهاد الأصغر أو الأكبر في طريق صدقنا ﴿لَنَهۡدِيَنَّهُمۡ سُبُلَنَا﴾ أي: سبيل السير إلى بابنا وطرق الوصول إلى جنابنا، أو لنزيدهم هداية إلى سبل العبادة، وتوفيقًا لسلوك سير أهل الإرادة؛ كقوله

---

١ سورة العنكبوت

تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ ٱهۡتَدَوۡاْ زَادَهُمۡ هُدٗى وَءَاتَىٰهُمۡ تَقۡوَىٰهُمۡ ١٧﴾ [1]،
وقوله ـ جلَّ وعلا: ﴿وَإِنَّ ٱللَّهَ لَمَعَ ٱلۡمُحۡسِنِينَ﴾ أي: بالنصرة والإعانة في طريق اليقين.

قال عبد العزيز المكي: اجتهدوا في سبيل الظاهر فهداهم إلى سبيل الباطن، وأنا أتعجب ممن يعجزون عن ظاهره ويطمعون في باطنه.

قال الإمام القشيري: الذين زينوا ظواهرهم بالمجاهدات حبسنا سرائرهم بالمشاهدات.ويقال: الذين شغلوا ظواهرهم بالوظائف أوصلنا سرائرهم إلى اللطائف، ويقال: الذين قاسوا فينا التعب من حيث الصلوات جازيناهم بالطرب من حيث الموصلات، ويقال: الجهاد فيه أولاً يترك

---

١ سورة محمد ــ صلّى الله عليه وسلّم.

المحرمات، ثم يترك الشبهات، ثم يترك الفضلات، ثم يقطع العلاقات، والتنقي عن الشواغل على جميع الأوقات، ويقال: يعدّ الأنفاس مع الله ويحفظ الحواس عما سواه.

قال الإمام السمرقندي: قال بعض العلماء: حرفة الزاهدين، عشرة أشياء:ـ

أولها: عداوة الشيطان يرونها واجبة على أنفسهم، لقوله ﷻ: ﴿إِنَّ ٱلشَّيۡطَٰنَ لَكُمۡ عَدُوّٞ فَٱتَّخِذُوهُ عَدُوًّا ٦﴾[1].

والثاني: لا يعملون عملاً إلا بالحُجَّة، يعني لا يعملون عملاً إلا بعدما ثبتت لهم الحُجَّة لقول الله ـ عزَّ وجلَّ: ﴿وَقَالُواْ لَن يَدۡخُلَ ٱلۡجَنَّةَ إِلَّا مَن

---

١ سورة فاطر.

كَانَ هُودًا أَوۡ نَصَٰرَىٰۗ تِلۡكَ أَمَانِيُّهُمۡۗ قُلۡ هَاتُواْ بُرۡهَٰنَكُمۡ إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ١١١﴾[1]، يعني حجّتكم.

والثالث: أنهم مستعدون للموت، لقول الله تعالى: ﴿كُلُّ نَفۡسٖ ذَآئِقَةُ ٱلۡمَوۡتِۗ ١٨٥﴾[2].

والرابع: يحبون في الله، ويبغضون في الله، لقول الله ـ عزَّ وجلَّ: ﴿لَّا تَجِدُ قَوۡمٗا يُؤۡمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلۡيَوۡمِ ٱلۡأٓخِرِ يُوَآدُّونَ مَنۡ حَآدَّ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَوۡ كَانُوٓاْ ءَابَآءَهُمۡ أَوۡ أَبۡنَآءَهُمۡ أَوۡ إِخۡوَٰنَهُمۡ أَوۡ عَشِيرَتَهُمۡۚ أُوْلَٰٓئِكَ كَتَبَ فِي قُلُوبِهِمُ ٱلۡإِيمَٰنَ ٢٢﴾[3]، يعني من كان مؤمنًا لا تكون له صداقة مع من يخالف أمر الله، ولو كان أباه أو ابنه أو أخاه أو عشيرته.

---

١ سورة البقرة.

٢ سورة آل عمران.

٣ سورة المجادلة.

والخامس: أنهم يأمرون بالمعروف وينهون عن المنكر، بقول الله ـ عزَّ وجلَّ: ﴿وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ١٧﴾[1].

والسادس: أنهم يعتبرون ويتفكرون في أمر الله تعالى، لقول الله ﷻ: ﴿وَيَتَفَكَّرُونَ فِي خَلۡقِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ ١٩١﴾[2].

والسابع: يحرسون قلوبهم لكيلا يتفكروا فيما لم يكن فيه رضا الله ـ سبحانه وتعالى، لقول الله تعالى: ﴿وَلَا تَقۡفُ مَا لَيۡسَ لَكَ بِهِۦ عِلۡمٌۚ إِنَّ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡبَصَرَ وَٱلۡفُؤَادَ كُلُّ أُوْلَٰٓئِكَ كَانَ عَنۡهُ مَسۡـُٔولٗا ٣٦﴾[3].

---

١ سورة لقمان.

٢ سورة آل عمران.

٣ سورة الإسراء.

والثامن: أن لا يأمنوا مكر الله، لقول الله تعالى: ﴿فَلَا يَأْمَنُ مَكْرَ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ۝٩٩﴾[1].

والتاسع: ألّا يقنطوا من رحمة الله، لقوله تعالى: ﴿لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ۝٥٣﴾[2].

والعاشر: لا يفرحون بما آتاهم الله من الدنيا، ولا يحزنون على ما فاتهم، لقوله تعالى: ﴿لِّكَيْلَا تَأْسَوْا۟ عَلَىٰ مَا فَاتَكُمْ وَلَا تَفْرَحُوا۟ بِمَآ ءَاتَىٰكُمْ ۝٢٣﴾[3].

يعني أن العبد لا يعلم بأنَّ الصَّلاح فيما يفوته أو فيما يأتيه، فينبغي أن يكون في الحالين سواء، فإن المؤمن مثله مثل الآس، والمنافق مثله مثل

---

١ سورة الأعراف.

٢ سورة الزمر.

٣ سورة الحديد.

الورد، فالآس يكون على حال واحد في حال البرد والحر، وأما الورد فيتغير حاله إذا أصابه أدنى آفة. فكذلك المؤمن يكون حاله عند الشدة وعند الرخاء واحدًا، ويكون راضيًا بما قسم الله له.

وأما المنافق فلا يكون راضيًا بما قسم الله له، فيطغى عند النعمة، ويجزع عند الشدة، فينبغي للمؤمن أن يقتدي بأفعال الأنبياء والزهاد، ولا ينبغي له أن يقتدي بأفعال الكفار والمنافقين. وبالله التوفيق[1].

ربِّ إني ظلمت نفسي ظلمًا كثيرًا، وأذنبت ذنبًا كبيرًا، فإنه لا يغفر الذنوب إلا أنت، فاغفر لي مغفرة من عندك، وارحمني أنك أنت الغفور الرحيم.

---

١ ((تنبيه الغافلين)): للإمام الفقيه أبي الليث نصر بن محمد الحنفي السمرقندي، (ت٣٧٣هـ)، (٥٧٠ــ٥٧١).

"أي سادة": قال الحق ـ جلَّ وعلا: ﴿وَلَٰكِن كُونُواْ رَبَّٰنِيِّـۧنَ بِمَا كُنتُمۡ تُعَلِّمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمۡ تَدۡرُسُونَ ٧٩﴾[1]، قالوا: أي: ولكن يأمرهم بأن يكونوا ربانيين، أي: علماء حكماء حلماء معلمين للناس ومربيهم، بصغار العلم قبل كباره، عاملين بذلك، فهم يأمرون بالعلم والعمل والتعليم التي هي مدار السعادة، وبفوات شيء منها يحصل النقص والخلل، والباء في قوله تعالى: ﴿بِمَا كُنتُمۡ تُعَلِّمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ وَبِمَا كُنتُمۡ تَدۡرُسُونَ﴾، وبالقراءات: (تُدَرِّسون)، باء السببية، أي: بسبب تعليمكم ودرسكم لكتاب الله تعالى وسنة نبيه ومصطفاه، التي بدرسها يرسخ العلم ويبقى، فتكونون ربانيين.

---

١ سورة آل عمران.

وفسر ابن عباس ﷺ (الربّانيّين)، بأنهم العلماء الحكماء الحلماء؛ وفسرها الحسن ﷺ: بأهل العبادة والتقوى؛ وفسرها سيدنا علي ﷺ، وكرم الله وجهه، (الرباني) الفقيه العالم؛ وقال السري ﷺ: (الرباني)، العالم الحكيم؛ وقال ابن جبير ﷺ: بالحكيم التقي؛ وقال ابن زيد ﷺ: (الرباني)، مدبر أمر الناس، وقال عطاء ﷺ: علماء حكماء نصحاء لله في خلقه. قال محمد بن الحنفية ﷺ يوم مات ابن عباس ﷺ: اليوم مات ربّاني هذه الأمة. وقال جعفر ﷺ: كونوا مستمعين بسمع القلوب، وناظرين بأعين الغيوب. وقال الجريري ﷺ: ﴿كُونُواْ رَبَّـٰنِيِّـۧنَ﴾ أي سامعين من الله تعالى، ناطقين بالله

تعالى. وغير ذلك كما ذكره علماء التفاسير، وغيرهم ﷺ[1].

قلت: العالمُ الربَّانيّ: أي الراسخُ في العلم، الذي تكون حياتُه كلُّها محصورةً في معرفةِ اللهِ وذكرهِ وخدمةِ عبادهِ؛ أو بمعنى آخر: صاحبُ العبودية والخدمة؛ أما العبودية فهي: الطاعة الخالصة لوجه الله تعالى، والمحبة والمعرفة الإلهية، والخدمة: أي للدين والقلوب والأمة.

قال سيدُنا عليٌّ ﷺ: الناسُ ثلاثةٌ: عالمٌ ربَّانيّ، ومتعلمٌ على سبيل نجاة، وهمجٌ رَعاع أتباع كلِّ ناعق، يميلون مع كل ريح، لم يستضيئوا بنور العلم، ولم يلجئوا إلى ركن وثيق[2].

---

(١) انظر: ((الحديقة النّديّة شرح الطّريقة المُحمّديّة)): للأستاذ المحدث الفقيه الشيخ عبد الغني النابلسي ﷺ: (ت١١٤٣هـ)، (١/ ٣٥٧، ٣٥٨).

(٢) ((حلية الأولياء)): (١/٨٠)، ((تاريخ مدينة دمشق)): (٥٠/٢٥٢).

وروى الدارمي عن محمد بن يُوسُف عن سُفْيَانَ قال: كان يُقَالُ: الْعُلَمَاءُ ثَلاثَةٌ: عَالِمٌ بِاللَّهِ يَخْشَى اللَّهَ ليس بِعَالِمٍ بِأَمْرِ اللَّهِ، وَعَالِمٌ بِاللَّهِ عَالِمٌ بِأَمْرِ اللَّهِ يَخْشَى اللَّهَ؛ فَذَاكَ الْعَالِمُ الْكَامِلُ، وَعَالِمٌ بِأَمْرِ اللَّهِ ليس بِعَالِمٍ بِاللَّهِ لا يَخْشَى اللَّهَ؛ فَذَلِكَ الْعَالِمُ الْفَاجِرُ[1].

وقال الإمام التستري: عالم بأمر الله تعالى، لا بأيام الله: وهم المفتون في الحلال والحرام، وهذا العلم لا يورث الخشية. وعالم بالله تعالى، لا بأمر الله ولا بأيام الله: وهم عموم المؤمنين. وعالم بالله تعالى، وبأمر الله تعالى، وبأيام الله تعالى: وهم الصديقون والخشية والخشوع إنما تغلب عليهم؛ وأراد بأيام الله أنواع عقوباته الغامضة ونعمه

(١) ((سنن الدارمي)): المقدمة ـــ باب التبويخ لمن يطلب العلم لغير الله.

الباطنة التي أفاضها على القرون السالفة واللاحقة؛ فمن أحاط علمه بذلك عظم خوفه وظهر خشوعه[1].

قال الشيخ ابن تيمية، في الفتاوى: والعبد العارف بالله تتحد إرادته بإرادة الله بحيث لا يريد إلا ما يريده الله أمرا به ورضا، ولا يحب إلا ما يحبه الله، ولا يبغض إلا ما يبغضه الله، ولا يلتفت إلى عذل العاذلين ولوم اللائمين؛ كما قال سبحانه: ﴿فَسَوۡفَ يَأۡتِي ٱللَّهُ بِقَوۡمٖ يُحِبُّهُمۡ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلۡكَٰفِرِينَ يُجَٰهِدُونَ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوۡمَةَ لَآئِمٖۚ ذَٰلِكَ فَضۡلُ ٱللَّهِ يُؤۡتِيهِ مَن

---

١ إحياء علوم الدين: (١/٧٥).

﴿يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ٥٤﴾[1]، والكلام في مقامات العارفين طويل[2].

وقال الشيخ ابن القيم، في مدارج السالكين: وقال بعض السلف: نوم العارف يقظة، وأنفاسه تسبيح، ونوم العارف أفضل من صلاة الغافل. وإنما كان نوم العارف يقظة؛ لأن قلبه حي؛ فعيناه تنامان، وروحه ساجدة تحت العرش بين يدي ربها وفاطرها، جسده في الفرش، وقلبه حول العرش[3].

وقال السيد الشيخ عبد القادر الجيلاني ـ في الفتح الرَّباني: إذا دام القلب على ذكر الحق ـ عزّ وجلّ ـ جاءت إليه المعرفة والعلم والتوحيد

---

١ سورة المائدة.

٢ مجموع الفتاوى: (٧٧/١١).

٣ مدارج السالكين: (٣٢٢/٣).

والتوكل والإعراض عما سواه في الجملة، دوام الذكر سببٌ لدوام الخير في الدنيا والآخرة، إذا صح القلب صار الذكر دائماً فيه يُكتب في جوانبه وعلى جملته فتنام عيناه وقلبه ذاكر لربه ـ عزّ وجلّ ـ يرث ذلك عن نبيه ﷺ، القائل: ((إِنَّ عَيْنَيَّ تَنَامَانِ وَلا يَنَامُ قَلْبِي))[1].

وقال السيد الشيخ أحمد الرفاعي، في حالة أهل الحقيقة مع الله: فمن علامة العارف بالله: أن يصفو في أقواله وأفعاله وحركاته؛ من ادناس آفات النَّفس والخلق والدنيا، وتصفو خواطره من غبار الاعراض عنه تعالى والنظر منه إلى من سواه، وأيضًا من علاماته أن يكون مع النَّفس بلا نفس، ومع الخلق بلا خلق، ومع القلب بلا قلب، ومع

١ سبق تخريجه.

الحال بلا حال، ومع الوقت بلا وقت، ويكون مستقيمًا على بساط أمر الله، متذللاً تحت جلال عظمة الله، مستكفيًا مستغنيًا به عن غيره، قلبه مضروب بسياط خوف القطيعة والهجران، وسره مضروب بسياط خشية البعد والحرمان، نفسه منورة بنور الخدمة، وقلبه منور بنور المحبة، وسره منور بنور المعرفة، ومن علامته أيضًا أن يكون فؤاده طائرًا بأجنحة الشوق، وأركانه مستقيمة على طريق الحق بالحق للحق مع حسن الانتظار، وعلى غاية الانكسار، مقبلاً بالكلية على مليكه، مع ترك الالتفات منه إلى ملكه، مع الفرار من المخلوقين، لشدة وجدانه حلاوة الأنس برب العالمين، ورجوعه إلى الحق، واعتماده على الحق، وقراره مع

الحق، من غير أن يلتفت منه إلى الخلق، وحشي القلب سماوي الحديث، رباني العلم، فرداني الهمة، روحاني العيش، نوراني القدر[1]، جميع إرادته تحت إِرادة المعبود، شاكرًا لله في السرِّ والإعلان، كي لا يقع في أبحر الكفران، ذاكرًا لله بالقلب واللسان، في كل وقت وأوان، كيلا يتيه في مفاوز النسيان، يعلم أن المولى يراه، ومن فوق العُلى يرعاه، فهو فانٍ تحت عظمة نظره، متلاش بكليته تحت كمال قدرته، مستغرق صفه أوقاته في أبحر امتنانه، مع سقوط كل حلاوة، غير حلاوة محبة ربه، مستقيم على صدق العبودية، من غير رؤية العبودية، فارغ القلب عن الشغل بغير الله، مع الاتكال بالقلب

---

١ أي مؤمن بقدر الله تعالى، لا يرى الأفعال من المخلوقات إلا من طريـــق النسبة.

على الله، متواضع لأهل الإيمان، قائم على بساط الأحزان، حتى يأتيه اليقين بالعفو والرضوان، لسانه مثل قلبه، يصدق في جميع أقواله وأفعاله، لا كما قال الله تعالى: ﴿لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفْعَلُونَ ۝٢﴾[١]، شاكر لقليل النعمة، صابر على كثير الشدة، راضٍ بقضاء ربِّ العزة، دائم على احتراس القلب لله بالحجة، لا يخاف دون الله، ولا يرجو غير الله، ولا يريد إلا الله، لما علم أنه لا مضر ولا نافع، ولا رافع ولا دافع، ولا معز ولا مذل، إلا الله وحده لا شريك له متابع لسُنَّة المصطفى ﷺ وأخلاقه ومذاهب أصحابه، خائف من سوء العاقبة، مشتغل بالمقدّر إذا اشتغل الناس بالتقدير، وبالمدّبر إذا اشتغلوا بالتدبير، جالس على بساط الخدمة مع

---

١ سورة الصف.

الحياء، متكئ على سرير الفقر والفاقة، مشرف على غرف القرب والمشاهدة، شارب بكأس الأنس والمحبَّة، يطيل صمته، ويكظم غيظه: ويغلب شهوته، ويفارق راحته، من غير أن يلتفت إلى معاملة قلبه، فارغ من مصالح نفسه، تارك لجميع راحاته وشهواته، خائف من الوحشة بينه وبين حبيبه، يكون أحسن الناس للناس وأتقاهم، وأصدق الناس وأصفاهم، وأعقل الناس وأرعاهم، ينظر إلى الدنيا بعين الاعتبار، وإلى النَّفس بعين الاحتقار، وإلى الآخرة بعين الاستبشار، وإلى الرَّب بعين الافتخار، في الاستقامة كالجبل الراسي، لا تحركه الرياح الهائجة، لا يطلب ما ليس له، ولا يهتم بما قسم له، فارغ عن خدمة المخلوقين،

مشتغل بخدمة ربِّ العالمين، لا يعرض عنه ببلواه، ولا يختار حبيبًا سواه، نفسه طاهرة من كل خطأ وزلة، وقلبه متبرىء من كل سهو وغفلة، وسره من كل حول وقوة، بدون الله سبحانه لا يرضى، طعامه طعام المرضى، وبكاؤه بكاء الثكلى، لا يتوكل قلبه إلا عليه، ولا يسلم إلا إليه ، ولا يشكر النعمة إلا له[1]، ولا يطلب الحاجة إلا منه، مستأنس بالله في جميع الأحوال، منقطع إليه في جميع الأعمال، وذكر الله حديثه في جميع المقال، تارك اختياره إلى ذي الجلال، نومه قليل، وحزنه طويل، وبدنه نحيل، وأنيسه الملك الجليل، حسبنا الله ونعم الوكيل.

---

١ أي ولو شكر الناس بوصول النعمة له على أيديهم، فإنه مراقب انها منه تعالى، فيشكر الله حقيقة ويشكر الناس امتثالًا لقوله ــ صلّى الله عليه وسلّم: ((لا يشكر الله من لا يشكر الناس)).

"أي إخوتي": المحبَّة مع المعرفة، مراتب الصديقية؛ والصديقية مع التقوى والدعوة، مراتب الربانية؛ قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ١١٩﴾[1]، والربانية مراتب إلى منازل التجديد؛ كما قال رسول الله ـ صلّى الله عليه وآله وسلّم: «إِنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ لِهَذِهِ الأُمَّةِ عَلَى رَأْسِ كُلِّ مِائَةِ سَنَةٍ مَنْ يُجَدِّدُ لَهَا دِينَهَا»، رواه أبو داود[2].

قالوا: من فوائد "معرفة الله ـ عزَّ وجلَّ":ـ

١ـ معرفة الله ـ عزَّ وجلَّ؛ هي أساس الإيمان به تعالى، والتصديق برسله، وما أُرسلوا به.

---

١ سورة التوبة.

٢ ((سنن أبي داود)): كتاب الملاحم ــ باب ما يذكر في قرن المائة، رقم: ٦٥٢٧، ((المستدرك)): (٥٦٧/٤)، رقم: ٨٥٩٢، ((المعجم الأوسط)): (٣٢٣/٦)، رقم: ٦٥٢٧.

٢ـ معرفة الله ـ عزَّ وجلَّ، تورث السكينة والرضا، وتبعد عن العبد السخط والغضب.

٣ـ العارف بالله تعالى، من أطيب النَّاس عيشًا.

٤ـ المعرفة بالله ـ عزَّ وجلَّ، تورث محبَّته سبحانه.

٥ـ معرفة الله ـ عزَّ وجلَّ، هي جماع السعادة في الدنيا والآخرة.

٦ـ من عرف الله ـ عزَّ وجلَّ، في الرَّخاء، عرفه الله ـ عزَّ وجلَّ، في شدَّته وأنقذه منها.

٧ـ المعرفة في قلب المؤمن سراجٌ يُنير طريقه، أمَّا معرفة المنافق التي يعقبها إنكار فإنَّها تجعل قلبه منكوسًا.

٨ـ العارفون بالله يوم القيامة يهديهم ربُّهم بإيمانهم فيتَّبعونه عندما يأتيهم في صورته التي يعرفونها.

٩ـ العارفون بالله تعالى، لهم أوفر حظٍّ من نور اليقين؛ وأصحاب اليقين: هم الفائزون في الدنيا والآخرة.

١٠ـ المعرفة تورث الخوف من الله ـ عزَّ وجلَّ، وتؤدِّي إلى الخشية منه تعالى، والبعد عن معاصيه.

١١ـ ومن ثمرات المعرفة: الإقبال على الله تعالى.

١٢ـ قلب العارف: يزداد نورًا على نُورٍ.

قال ـ جلَّ ذكرُه: ﴿إِنَّمَآ أُمِرۡتُ أَنۡ أَعۡبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ ٱلۡبَلۡدَةِ ٱلَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُۥ كُلُّ شَيۡءٖۖ وَأُمِرۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ٩١ وَأَنۡ أَتۡلُوَاْ ٱلۡقُرۡءَانَۖ فَمَنِ ٱهۡتَدَىٰ فَإِنَّمَا يَهۡتَدِي لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن ضَلَّ فَقُلۡ إِنَّمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُنذِرِينَ ٩٢ وَقُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ

﴿فَتَعۡرِفُونَهَاۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ۝٩٣﴾[1]، أي: فتعرفون الآيات والدلالات.

قال الإمام الرازي: التنكير للقلوب للتنبيه على الإنكار الذي في القلوب، وذلك لأن القلب إذا كان عارفًا كان معروفًا؛ لأن القلب خلق للمعرفة، فإذا لم تكن فيه المعرفة فكأنه لا يعرف، وهذا كما يقول القائل في الإنسان المؤذي: هذا ليس بإنسان هذا سبع، ولذلك يقال هذا ليس بقلب هذا حجر[2].

الحمد لله ربِّ العالمين، والصَّلاة والسَّلام على حبيب الله خاتم النَّبيين، وعلى آله وأصحابه، ومن والاه إلى يوم الدين - رضي الله تعالى عليهم أجمعين.

---

[1] سورة النمل

[2] مفاتيح الغيب المعروف بـــ تفسير الرازي: لأبي عبد الله محمد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي فخر الدين الرازي (ت ٦٠٦هــ): (٢٨/ ٥٦).

اللّهُمَّ؛ يا الله يا رحمن يا رحيم ﴿الٓمٓ ١ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُ ٢﴾ هو الله، وهو الله أسألك باسمك الأعظم، هو أنت، وأنت هو، وأسألك وأقسم عليك بحقِّ اسمك الذي أودعته سرَّك الأعظم، وهو اسمك الأعظم الأكبر، يا الله يا حنّان يا منّان، وصلى الله على النَّبيِّ مُحمّدٍ وعلى آل محمد، كما صليت على إبراهيم وعلى آل إبراهيم، وأدخلنا برحمتك يا أرحم الراحمين.

احتجبت بنور الله، ونور عرش الله، وبكلِّ اسم لله، من عدوي وعدو الله، ومن شر كلِّ ما يخلق الله بمائة ألف مرة لا حول ولا قوة إلا بالله العلي العظيم، ختمت على نفسي وأهلي وأحبتي بخاتم الله القدوس المنيع الذي ختم به أقطار

السماوات والأرض، حسبنا الله ونعم الوكيل، وصلِّ على سيدنا مُحمّد النَّبي، وآله الأطهار وأصحابه الكرام وسلِّم.

اللّهُمَّ؛ إني أسألك بكلِّ اسمٍ هو لك سميت به نفسك، أو علمته أحدًا من خلقك، أو أنزلته في كتابك، أو استأثرت به في علم الغيب عندك؛ أن تجعل القرآن لنا قائدًا وهاديًا، ولذنوبنا وعيوبنا ماحيًا، ولقلوبنا ربيعًا، ولسيئاتنا شافعًا، ولوجوهنا نظرةً ونورًا، ولعيوننا قرةً وسرورا. اللّهُمَّ؛ وأطلق به ألسنتنا، وأجزل به ثوابنا، وأحسن به مآبنا، واجعلنا نقوم به وبالذي يرضيك عنَّا . اللّهُمَّ؛ واجعله لغمومنا وهمومنا شفاء، ولحوائجنا قضاء، وفي القيامة رفعةً وسناء ـ برحمتك يا أرحم الرَّاحمين.

اللّهُمَّ؛ أطلق ألسنتنا بذكرك، وطهِّر قلوبنا مما سواك، وروح أرواحنا بنسيم قربك، واملأ أسرارنا بمحبتك، واطوِ ضمائرنا بنية الخير للعبادة، وألف أنفسنا بعلمك، واملأ صدورنا بتعظيمك، وخيِّر كليتنا إلى جنابك، وحسن أسرارنا معك، واجعلنا ممن يأخذ ما صفى ويدع الكدر، ويعرف قدر العافية ويشكر عليها، ويرضى بك كفيلا لتكون له وكيلا، ووفقنا لتعظيم عظمتك، وارزقنا لذة النظر إلى وجهك الكريم ـ تباركت وتعاليت يا ذا الجلال والإكرام، لا إله إلا أنت. اللّهُمَّ؛ إني أسألك بنور وجه الله العظيم، الذي ملأ أركان عرش الله العظيم، وقامت به عوالمُ الله العظيم؛ أن تصلِّ على مولانا مُحمّدٍ ذي القدر العظيم، وعلى

آل نبي الله العظيم؛ بقدر عظمة ذات الله العظيم، في كلِّ لمحة ونفس، عدد ما في علم الله العظيم، صلاةً دائمةً بدوام الله العظيم، تعظيمًا لحقك يا مولانا يا رسولَ الله يا ذا الخُلُق العظيم، وسلِّم عليه وعلى آله وأصحابه مثل ذلك، واجمع بيني وبينه، كما جمعت بين الروح والنَّفس، ظاهرًا وباطنًا، يقظةً ومنامًا، واجعله يا ربي روحًا لذاتي من جميع الوجوه، في الدنيا قبل الآخرة يا عظيم، آمينَ آمينَ آمين. والحمد لله ربِّ العالمين ـ يا لطيف يا واسع يا عليم، يا الله. ﴿ رَبَّنَا ٱفۡتَحۡ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَ قَوۡمِنَا بِٱلۡحَقِّ وَأَنتَ خَيۡرُ ٱلۡفَٰتِحِينَ ٨٩ ﴾[1]. ﴿ خِتَٰمُهُۥ مِسۡكٞۚ وَفِي ذَٰلِكَ فَلۡيَتَنَافَسِ ٱلۡمُتَنَٰفِسُونَ ٢٦ ﴾[2].

---

١ سورة الأعراف.

٢ سورة المطففين.

وهذا مساء ليلة الجمعة السابع والعشرين من ربيع الأول العام الهجري التاسع والثلاثين بعد الأربعمائة والألف، وفيه اكتمل هذا الكتاب "ميزان الإعتدال لحفظ الدين والأحوال" بجزئه السادس، المسمى "المعرفة بالله تعالى" وذلك في منزلي الملتصق بجامع الرباط في منطقة"القلعة"، من مدينة سامراء، من بلد العراق ـ بلد العلم والصلاح والحرب والسلام. والحمد لله بدءًا وختامًا، في الأولى والآخرة ـ يا لطيف يا واسع يا عليم، يا الله.

«سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ أَشْهَدُ أَلَّا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ».

«سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ أَشْهَدُ أَلَّا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ».

«سُبْحَانَكَ اللَّهُمَّ وَبِحَمْدِكَ أَشْهَدُ أَلَّا إِلَهَ إِلَّا أَنْتَ أَسْتَغْفِرُكَ وَأَتُوبُ إِلَيْكَ».

﴿ سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾ وَسَلَٰمٌ عَلَى ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٨١﴾ وَٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٨٢﴾ ﴾[1].

خادم الدين والأمة

السيد الشيخ عباس السيد

فاضل الحسني

[1] سورة الصافات